

مكتبة
١٠٦٤

بعض ما لم ينشر من :

مذكرات

قلبي فلهي باشا

على هامش التاريخ المصري الحديث

بعض حوادث الماضي

إقتراحات لمصلحة الوطن



mohamed khatab



جلالة مولانا الملك فؤاد الاول ملك مصر

أهداء

مرفوع بيد الاكبار والاجلال
الى عتبات حضرة صاحب الجلالة ~~و~~ ولا يجل الله

فؤاد الاول

ادام الله تأييده وأعز نصره • وأحر عبيده وعيني ~~اجد~~
برعاية خاصة لسمو ولي عهده وسائر احواله الفخام

لي الشرف الاسمى ، بان ارفع الى مقامكم الاسنى ، بعض الذكريات
التي دونت فيها ما شهدته او سمعته او كانت لي به صلة من الحوادث والوقائع
التي جرت في عهد والدكم العظيم ومن اعقبوه من الخديويين الذين تداولوا
امر مصر قبل تبوء جلالكم عرش آبائكم الاكرمين ، واجداكم الامثلين
على ان لي ذكريات اخر ، كلها كبير الشأن ، جدير بالاذاعة المقرونة
بالاكبار ، وان هي الا تريد المآثر الموطدة والمفاخر المخلدة التي ملائم
بها سمع العصر وبصره ، ونقلم بها مصر من اماراة تحت سيادة ، الى
مملكة حرة ذات سيادة ، خفقت اعلام ممثليها في حواضر جميع البلدان
الراقية وذاعت محامدها ومناقبها تحت كل كوكب ، واتسح لها مكان بين
الممالك الكبيرة في الخافقين

وقبل ان اشيع في تدوين تلك المآثر والمفاخر في كتاب على حدة ،
قد اوجب عليّ الولاء والاخلاص الا اخرج هذا الكتاب الا ومفرقه

متوج برسم جلالكم ، وصدره مزدان باسمكم الذي سيبقى بين اسماء اعظم
رجال التاريخ ، مادام تداول سير المصلحين ، في العالمين

واني لا أستطيع جلالكم عذراً في ان اذكر بالايجاز اظهر ما لجلالتكم
من الاعمال الكبرى التي اعليتم بها شأن ملككم وطوقتم جيد امتكم
المخلصة ، وان كلا من تلك المفاخر لتتطرق من مجرد ذكرها ببيان ما دق
وجل من معانيها ، وبال دلالة على ما قرب وبعد من مراميها

وهل في صحف المجد مما يؤثر عن اعظم الملوك مثل ما الخصة في
هذه الصحيفة من كل مأثور عن جلالكم
في عهدكم الميمون

خرجت مصر من التبعية التركية واصبحت مملكة مستقلة ، عزيزة الجانب ،
ذات نظام مقرر لعرشها ووراثته وترتيباته كأحسن ما يرى من مثله
في انظمة الممالك الكبرى
وفي عهدكم الميمون

وضع الدستور وانشيء البرلمان
انشيء التمثيل السياسي لدى دول الغرب والشرق
اشتركت مصر في اهم المؤتمرات العامة التي عقدت في البلدان الاخرى
وعقدت ثلاث مؤتمرات عامة في مصر عندما تقرر عقده منها في بعض
السنوات التالية ، ولبت الدول دعوتها اليه

تسنى لمصر ان تتمخر بزياراتكم لاوروبا حيث قابل جلالكم ملوكها
وامراؤها ورجال السياسة واساطين العلم والادب والفنون فضلاً عن

الجاهير في كل بلد باعظم حفاوة رجعت عائدتها بكرامة غير مسبوقه على بلادكم ، وزاركم غير واحد من الملوك والامراء الغريبين والشرقيين فلقوا من عنايتكم وتبينوا من عظم ملككم ماجاوز ظنونهم وفي عهدكم الميمون

ضوعفت العناية بالصحة العامة اصعافاً ، وانشأت لها المنشآت الجمه ، وبذلت فيها لمساخه الامراض ، مجهودات عظيمة

اقر العدل في نصابه احسن اقرار بمنوف العناية التي وجهت الى المحاكم ، وتوسيع نطاق الاستئناف العالي فيها ، ووحدت وجهه القانون بانشاء محكمة النقض والابرار العليا

سيرت الشؤون الاقتصادية تسيراً محكماً ، وكان ما أنت به الحكومة بعناية وزيركم الاكبر عملاً باوامركم الصائبة في تدارك علل الازمة العالمية التي اصاب مصر منها أثر شديد الخطر ، ما اصلح المقتل من الامور جهد المستطاع ، وامن الملاك على املاكهم ، بعد ان تعرضت للضياع بالبيع الجبرى كما ان المزارعين الذين عجزوا عن زراعة اطيانهم بسبب الضيق المالى قد مدهم بنك التسليف الزراعي بالمال والسماد والتقاي مما كانت له نتيجة حسنة في تخضير جميع اطيانهم فدرأ الخطر الشديد ، وثبت حسن السمعة المالية للبلاد ، واكد الثقة العالمية بها

كثرت شعب المواصلات وفروعها في السكك الحديدية والسيارات بما زاد سهولة الانتقال في كل مكان في المملكة ، ورقيت نظم التليفون والتلغراف السلكي واللاسلكي على احدث ما ترى تلك النظم في انمالك الرقبة

ادخلت تحسينات جمة لا تقوم بأنماط على اعمال الري والصرف
وأجدرها بالذكر اقامة قناطر نجع حمادي وتعلية خزان اسوان ، ومازالت
تلك الاعمال الحيوية تتوالى بما يدر الخير الوفير على البلاد وسكانها
حسنت شؤون الزراعة تحسيناً في كل الفروع العلمية والعملية ووسعت
نطاق التعاون وشرع في تنويع المحصولات شروعاً موفقاً وفتحت اسواق
جديدة لغلات المملكة

تقدمت الصناعة تقدماً محسوساً في مختلف ضروبها وسارت شوطاً
بعيداً في سبيل التكامل مما يشر بخير وفير عاجل

خصت المعارف بالنصيب الاوفر من عناية جلالتهكم، ولا عجب
فمن اكبر النعم على الامم ان يقوم على رأسها ملك متتور حكيم — فهذه
الجامعة المصرية التي لجلالتهكم فضل تأسيسها ومدارجتها في تقدمها قد
ارتقت الى مستوى المعاهد الكبرى من نوعها ، وهذه الجامعة الازهرية
وما يتصل بها من المعاهد الدينية قد احدث لها نظام كفيل بان تستمر لها
اوليتها بين الجامعات الشرقية الدينية والتفوق المطرد عليها ، ونمت معاهد
الفنون الجميلة تلقيناً وتطبيقاً

وهذه مدارس الحكومة قد ازداد عددها من ٤٥٣٦ حين تبوأتم
العرش الى ٥٨٠٧٠ وزاد عدد تلامذتها من ٣٢٢٦٢٥ الى ٦٩٧٦١٤ عدا
تلاميذ المدارس الاخرى مما يبلغ مجموع طلاب العلم اليوم نحو المليون
وفي عهدكم الميمون

نمت الجمعية الجغرافية وجمعية الاحياء المائية وجمعية الاقتصاد السياسي

والاحصاء والتشريع نمواً كبيراً بعطفكم المتوالى على كل منها
ونمت الجمعيات الخيرية المتعددة واخصها جمعية الاسعاف التي تكاملت
في هيئتها المركزية ، وتكاثرت فروعها في القطر واحكم ارتباطها بها عملاً
بنصحكم الكريم

وفي عهدكم الميمون

كثر توافد السياح على البلاد لتوافر الاستكشافات الاثرية العظيمة
وللتحسين الشائق في المدن ، وتعميم الماء العافي والانارة والحدائق فيها
ولاطمئنان القلوب وانسراح الصدور في كل مكان يطلب فيه الغريب
نزوة أو شفاء أو معرفة جديدة

وكذلك أغدقت الاعانات على المجددات في ضروب الرياضة البدنية
التي احرزت بها مصر سمعة عالية ، وجددت لها بها شبيهة - ايممة الابدان
ذكية العقول

أما الانعامات التي اسبغتموها على أعمال البر بأنواعها ومنها شد ازر
الآداب والفنون فحسبى ان اذكر منها امرين .

احدهما ان ما اتفقتموه جلالكم من جيبكم الخاص قد اناف حتى الآن
على مائتي الف جنيه . وقاما سمع بمثل هذا في سخاء الملوك

وثانيهما ان سראה القطر وأعيانه قد اقتدوا بقدوتكم الشريفة فساروا
في أعمال البر التي لم يعهدوا القطر في غير زمانكم . وقد اصبحت لا تعد
وإذا جاز لصاحب هذه الذكريات ان يشير الى ما كان في نفسه من الاثر
المبارك في الناسي بأسوتكم العظيمة فهو يجرؤ ان يذكر هيبته لمجلس مديرية المنيا

وهي ارض بنيت عليها اربع مدارس احداهن شرفت وتوجت باسم سمو الاميرة
فائزة كريمة جلالتم ، وقد قدر المجلس قيمة تلك الهبة بعشرين الف جنيه
وكذلك قد خص خادمكم المتواضع داريه المشيدتين في مغاغة وفي حلوان:
الاولى برعاية الطفل والولادة مرصداً عليها ٧٥ فدانا من اجود اطيانه
والثانية بتعليم البنات مرصداً عليها ٩٠ فدانا — وانما عرضت لعملي بهذه
الكلمات لعملي انه يحوز جانب رضاكم الاسنى لفرط كلفكم بكل امر
تتكمّل به الرفاهة والسعادة ببلادكم

ولو اردت ان استوفى مع نهاية الايجاز بيان ماثر جلالتم لابت
الحصر فكيف بها في مثل هذا النطاق الضيق ؟

فأرجو يا مولاي ان يقع هذا الاهداء من عالي نظركم موقع القبول
الحسن وان تجدوا فيه آية جديدة من آيات الولاء الصادق والوفاء الدائم
الذين وقفت نفسي عليهما لذاتكم الكريمة في عهد البرنس احمد فؤاد
واستمر انموان ويزدادان في عهد جلالة الملك فؤاد

من العبد الخاضع المتواضع

قلبنى فهمى



مؤقلىنى فرمى باشا

مذكرات

قلبي فهمي باشا

بيان لا بد منه

هذه ذكريات تنارت في احاديث سمعها مني فريق من الاصفياء
الافياء فرغبوا الي في تدوينها فلم يسعني الا اجابتهم . ورغبة الاحباء
امر مطاع

دونها من حاضر الذهن ، لم الجأ فيها الى مطالعة او مراجعة ، وسقتها
سوق الحديث يتصل احياناً ، وينفصل احياناً ، ليتفكك بها الواقف عليها
ويستجلي من اثنائها بعض الحقائق التي لم تجلها الي الآن مباحث المؤرخين
لقرب المهد بها

واكثر ماورد فيها مما شهدته أو سمعته او كان لي به شأن ، ولعل
هذه الذكريات بما تخيرته لها من الاسلوب السهل النزيه ، القريب التناول ،
تقع من نفوس قرائها مثل موقعها من نفوس سامعيها
والله يتولاني واباه بجبال عونه وجبال عنايته

قلبي فهمي

في عهد ساكن الجنان سمو الخديوي اسماعيل نميد

كانت مصر قبل ان يتولاها الخديوي اسماعيل معدودة ولاية تركيه وكان من يتولاها من الحكام يلقب بلقب «والي» ، تستمد سلطتها وأوامرها من السلطنة العثمانية ، فكانت العملة تضرب باسم السلطان ، والرقب والنياشين تعطى بفرامانات سلطانية وكان غير مباح لمصر ان تعمل سلفاً خاصة بها ، ولا تعقد معاهدات من نفسها مع دول اخرى ، وكان قاضي قضاة مصر — اعني رئيس المحكمة الشرعية العليا — يتعين من الاستانة بفرمان سلطاني فاهم سمو الخديوي اسماعيل ، وكان أكثر الخديويين نشاطاً ، وجباً للظهور ، حتى تحصل على جملة امتيازات أوجدت مصر في شبه مستقلة ولم يكن للدولة العلية سلطة عليها في امر سوى دفع خراج — (جزية) — لها معين سنوي في نظير ذلك ، كما انه حصل على استبدال لقب «والي» بلقب «خديوي»^(١) فجعل همه تنظيم حالة البلاد ورقياً فانشأ السكك الحديدية .

(١) ولما كان اللقب المعروف لحكام مصر هو لقب والي مصر وظل هذا اللقب معروفاً الى عهد الخديوي اسماعيل — فاسماعيل الذي كانت نظامه كبيرة جداً ، اراد ان ينال لقباً عالياً عن تلك الالقاب يشمر بفتضاه أنه ملك مستقل في بلاده ، حر في أعماله ، فسمى الى ان نال لقب خديوي ، الذي خوله عمل معاهدات مع الدول الاجنبية ، وسك نقود ، وسن قوانين لمصالح ادارية ونحو ذلك من جميع الاعمال الداخلية التي كانت محرمة على سلفائه ، كما انه سعى لدى السلطنة سعيًا مقروناً بالنجاح لحصوله على حصر الوراثة في ذريته بعد ان كانت تعطى للاكبر فالأكبر سنًا من طائفة محمد علي باشا — وصرف على ذلك اموالاً طائلة



الحديوي اسماعيل باشا

من المختطف

بالبلاد خصوصاً بالوجه القبلى ، حيث كان لا يوجد به سكك حديدية بالكرة .
واهتم كثيراً بتحسين الري ، ففي عهده بنيت كثير من القناطر ، وشقت
ترع عديدة للري منها ترعة الابراهيمية وترعة الاسماعيليه ، وانتشرت
المدارس ، وتقدم التعليم وأوقف كثيراً من الاطيان اصرف ريعها على
المدارس ، كما انه أوقف تفتيش الوادى ومساحته ٢٢ الف فدان على كتاب
الامة المصرية من نصارى ومسلمين ، وظل هذا التفتيش تابعاً لوزارة
المعارف العمومية ، وأخيراً عملت مساع لتتبعه لوزارة الاوقاف . كما انه
بعثت في وقته بعثات عديدة لاوروبا طلباً للمعلم - وانتظم حال الازهر انتظاماً
يدل على التقدم والرقى ، وفي عهده أيضاً انتشرت زراعة القصب والقطن ،
وانشئت فابريقات السكر ، حيث كان يوجد منها في الوجه القبلى ثمانية عشر
فابريقة ، من أكبر الفابريقات . منها في مديرية المنيا وحدها ١٢ فابريقة
وثلاثة في ارمنت وضواحيها و٢ في الفيوم - وانشأت جملة مساجد للعبادة
كما انه انشأ جملة سرايات من انخر سرايات العالم . وانشأ أيضاً كوبرى
قصر النيل ، وشارع الهرم ، ودار الاوبرا الخديوية ، التى هي وشارع الهرم
تم عملها في خمسة وأربعين يوماً . وأول رواية مثلت في الأوبرا
الخديوية . هي رواية عائدة المشهورة التى تألفت خصيصاً بناء على طلب
سموه . ودفع مؤلفها المشهور « غاربلدى » عشرين ألف جنيه

ثم وجه عناية خاصة بمدينتى القاهرة والاسكندرية : ففتح بهما شوارع
فسيجة نخمه ، وأوجد بها الانوار . وغرس فيها الاشجار ، وانشأ الحدائق
والبساتين والمنتزهات العامة وأوجد بمدينة القاهرة حديقة الازليكة انزهه

الجمهور. كما أنه أوجد بمدينة الاسكندرية حديقة الزهرة للغرض عينه ، مما جعل هاتين المدينتين على نظام اعظم المدن الاوروبية ، وكان شديد الولع بكل جديد ، حريصاً على عرشه ما أمكن

ومن صفاته التي تحلى بها ، انه كان يبعض بغضاً تاماً التعصبات الدينية وكان يرى أن جميع سكان البلاد هم رعاياه المخلصين ، فكان يعامل الجميع بالتساواة ، غير ناظر لالمذاهب ولا للاديان ، وكان حلوا الحديث ، جذاباً للقلوب ، كثير الحركة ، حتى انه كان يشرف على جميع مصالح الحكومة بنفسه ، ويبت فيها بأمره ، وقد استدان مصر في عهده فوق المائة مليون جنيهاً صرف جلها في الاصلاحات والمشروعات التي قام بها مصلحة البلاد وبعضها في شؤون خاصة به مثل الحصول من السلطة العثمانية على حصر الوراثة الخديوية فيه وفي انجاليه بعد أن كانت للأكبر فالأكبر من عائلة محمد علي . وفي أولية التي اقامها في حفلة افتتاح قناة السويس التي دعا اليها جميع ملوك العالم ، وكان يقصد من ورائها ان ينادى باسمه امبراطوراً على افريقيه. وفي انشاء قايديات السكر بدائرتيه . وفي وليمة اقامها للسلطان عبد العزيز في استامبول التي كان لاجل تحقيقها ضرورة انشاء قصر نفخ خاص يليق بجلالة السلطان ان يدخله ليتناول غذاءه فيه ، وفي جملة هدايا قدمت لرجال البلاط العثماني . وفي هدايا أخرى نفخة قدمت لعظماء المدعوين في حفلة افتتاح قناة السويس وعلى الاخص الامبراطورة اوجيني امبراطورة فرنسا

حفلة افتتاح قنال السويس

فن الأعمال البارزة في عهد سمو الخديوي اسماعيل افتتاح قنال السويس ، ولأهمية هذه التمرة نورد هنا بعض تفصيلات مختصرة عن حفلة افتتاحها

لما تم حفر قنال السويس ابتدئ في الاستعداد لما يلزم لافتتاحها رسمياً فقام سمو الخديوي اسماعيل لأوروبا ، ومعه حاشية يفوق عددها عدد أئى حاشية في رحلاته السابقة ، فر ببلاد اليونان وإيطاليا والنمسا وألمانيا وفرنسا ولندن وبلاد البلجيك وباقي البلدان الأوروبية لدعوة ملوكها وأمرائها ونبلاءها لحفلة افتتاح قنال السويس ، فكان يقابل في كل مملكة مقابله تفوق الوصف وينزل ضيفاً كريماً على ملوكها أياماً عديدة

وكان من جراء انفراده بالقيام بهذه الدعوة ان نظرت إليه تركيا بعين البغضاء حتى أن سلطانها لم يرسل مندوباً من قبله في هذه الحفلة واكتفى بالابراز الى سفير انكلترا الذي ناب عن حكومته ان يذكر اسمه لدى فتح التمرة ، فكان ذلك موجباً لسرور الخديوي سروراً عظيماً . لأن وجود السلطان على رأس ذلك الاحتفال كان من شأنه ان يخص من مقام الخديوي في عين المدعوين بينما عدم وجوده كان يرهنا محسوساً على جهوس الخديوي في مصاف الملوك ورمزاً لاستقلال مصر

وقد كانت الامبراطورة أوجيني امبراطورة فرنسا أول من حضرت الى موعد الاحتفال ، فستقبلها سمو الخديوي اسماعيل استقبالا باهراً ،

وأثر لها في سراي الجزيرة ، التي كان قد شيدها خصيصاً لها ، وقام بشؤون ضيافتها قياماً فوق كل ما اعتاده الملوك ، وأعد لها سياحة في نهر النيل . وكان سموه يرافقها لخدمتها أينما وجدت ، فسرت سروراً عظيماً مما لاقته في أثناء هذه السياحة

وبعد ذلك بأيام ابتدأت تصل المياه المصرية البوارج الحربية ، والبواخر والسفن البحرية وعليها المدعوين من عواهل أوروبا وكبار حكامها ومندوبيها . فكانت هذه الوفود تقابل بالتحية الواجبة باطلاق المدافع التي ما كانت تسكت لحظة إلا وتعود للدوي باستمرار وتضاعف طلقاتها تضاعفاً ارتجت له السماء والأرض

وفي الموعد المحدد للافتتاح أخذت بواخر المدعوين تسير في القنال من بور سعيد الى السويس يتقدمها النسر - ركاب جلالة الامبراطورة أوجيني - الى أن وصلت الى الاسماعيلية ، حيث أقيم هناك مرقص الاسماعيلية المشهور تحت رئاسة جلالة الامبراطورة أوجيني ، واشترك فيه أصحاب التيجان أنفسهم والامراء والاميرات والحديوي ، وقد بذل فيه ما لا يستطيع قلم وصفه من البذخ - وصنوف اللذات ودواعي السرور . ورتب فيه مقصف حوى مالد وضاب من صنوف المأكول والمشروب ، وامتزجت بطرب المرقص الموسيقى والالعاب النارية والزينات المؤتلفة بالأنوار . حتى لم يبق احد لم يعتبر أنه قد نقل الى عالم الخيالات . فكانت ليلة لم تر الميون لها مثيلاً وان ترى شبيهاً الاجيال المقبلة - ولا غرابة في ذلك فقد بلغت ثمنات هذه الحفلة أربعة ملايين من الجنيهات الذهب م

سمو الخديوى اسماعيل

والذي الاوربي

وسمو الخديوى اسماعيل كان محباً للتقليد الاوروبى . فهو الذي أدخل زى الملابس الاوروبية بالبلاد . وأمر أن يكون جميع مستخدمي الحكومة متحليين بها - كما كان مغرمًا بالزراعة والصناعة واتشاورهم بالبلاد راجياً رقيها وتقدمها . وكان مهيباً جداً حتى أنه لو ساح في نهر النيل كانت جميع المراكب والذهبيات تقف حركتها من المرور بدون أمر ولا تنبيه وإذا سكن في سراى من احدى سراياته تقف حركة مرور شارع تلك السراى - وفي زمانه تعددت الضرائب . لاحتياج الحكومة لاموال تقوم بجميع اصلاحاتها . ولكن رغمًا عن ذلك كانت البلاد في ايامه في افراح دائمة وهناء وسرور

محمد سيد احمد باشا

من أشهر الظماء البارزين في عصر الخديوى اسماعيل كان المرحوم محمد سيد احمد باشا فإنه قدامتاز بسفات خصة حيث فاضلًا عن وصفيته الصادقة وأخلاقه للوطن وللمرشد كان عائشاً عيشة تقرب من عيشة الملوك حتى أنه لما كان يجلس الى مائدة الطعام كان تحت آلاتية من الجوارى البيض الحسن يبيع

عددهن اربعاً وعشرين جارية يشغفن سماعه بالآغاني والالخان الشجية
وقد ذاع صيته في الاعمال الخيرية وفي تفننه في اساليب الترف
مما استدعى اعجاب سمو الخديوي اسماعيل وخلافاً للقواعد المرعية والتقاليد
المألوفة تكرم سموه بزيارته بسرايه بشبراوتناول على مائدته طعام الغداء
ولم يسبق للخديوي ان زار عظيماً او اميراً بل خص هذا العطف
الاستثنائي بهذا الرجل العظيم « وهو جد حضرة صاحب الدولة اسماعيل
صدق باشا رئيس مجلس الوزراء الحالي »

وقد ترك عقباً له هو المرحوم امين سيد احمد باشا و كان متضلعا في
علم القانون والادارة وقد تقلب في جملة مناصب حكومية تارة في القضاء
وتارة في الادارة وكان حلو الحديث سميراً لطيفاً انيساً — وقد ادركته
المنية وهو في منصب وكيل الحفائية — رحمهما الله رحمة واسعة

افراح الانجال

ومن الاعمال البارزة التي تمت في أيامه ، افراح الانجال التي ظلت
قائمة أربعين يوماً حوت ملذات وملاهي العالم ونقصد بالانجال سمو الخديوي
توفيق وقد تزوج بسمو الاميرة امينة هانم بنت الهامي باشا (ام المحسنين)
والسلطان حسين وقد تزوج بالاميرة عين الحياة هانم بنت الامير احمد باشا
والبراس حسن وقد تزوج بالاميرة خديجة هانم بنت الامير محمد علي الصغير
وزواج اختهم الاميرة فاطمة هانم بالامير حوسن

وفي هذه الافراح اعطيت العطايا واهديت الهدايا بسخاء عظيم ،
ووزعت الصدقات على الفقراء والمساكين حتى خيل أن هذه الافراح
هي افراح الامة بأسرها

الحوادث البارزة

وحدث أيضاً من الحوادث البارزة في عهده :

انشاء المحاكم المختلطة - تشكيل مجلس النواب الاول - مسألة اسماعيل
باشا صديق - مشترى أطيان الدائرة السنية - صرف ماهيات المستخدمين -
الجيش والوزارة المختلطة - حروبه مع السودان والاحباش

الباشوات البارزين

وكان باشوات عصره البارزين في شهرتهم واعمالهم :

نوبار باشا . شريف باشا . رياض باشا . علي مبارك باشا . طلعت باشا .
ثابت باشا . خيرى باشا . شاهين باشا . راسم باشا . قاسم باشا . البرنس
حسن . البرنس حسين . اسماعيل صديق باشا . سلطان باشا . السيد
اباطه باشا . قدرى باشا . اسماعيل محمد باشا . بهجت باشا . عرفان باشا .
سلامه باشا . راغب باشا . عبد القادر باشا حامي . عمر باشا لطفي . علي
باشا شريف . مصطفى فهمي باشا

هؤلاء هم ذوات وقته البارزين بأعمالهم وصفاتهم ووطنيتهم وسنتكم
عن كل واحد منهم اجمالاً عند المناسبة والخديوي اسماعيل كان عظيم
الحركة ، كثير النشاط ، سخى العطاء ، لا تقوته كبيرة ولا صغيرة ، وكان
يمضي شهراً من كل سنة في مدينة المنيا للاشراف على مزارعاته الخاصة
وعلى ادارة معامل السكر ، وكان في ذلك الوقت تتبعه جميع رؤساء
المصالح بحيث يتخيل للانسان ان جميع الحكومة انتقلت الى تلك المدينة
وذلك رغبة منه في استمرار مباشرته الدائمة لاعمال الحكومة ، والفصل
في اعمالها في الوقت الذي يشرف فيه على اعماله الخاصة

وكان في عهده باش اغاي الوالدة باشا المدعو خليل أغا ، ذو نفوذ
يفوق نفوذ كل ناظر في المملكة ، وكانت تخضع لاوامره جميع حكام
البلاد ، كما سنأتى على ذلك بالتفصيل

وكان سمو الخديوي مغرمًا بالمحفوظ والمسرات فكان يميل الى سماع
المغاني والآلات العربية كما كان يميل الى سماع المغاني الافرنجية ، وكان
في عصره أشهر مغنية تدعى « المظ » ، واشهر مغني يدعى عبده الحمولي
نالاً من عطفه كثيراً ومن الرعاية والاحسان جزيلاً

المحاكم المختلطة

أراد الخديوي اسماعيل ان يجعل مملكته المصرية مملكة تباهي
سائر الدول المظمية في نظامها وترتيبها فأمر بتشكيل مجلس نواب ، وهو



نوبار باشا

من المقطع

أول حاكم لمصر فعل ذلك ، كما أمر بتشكيل المحاكم المختلطة القائمة الآن
بالبلاط ، فكلف وزيراً من أعظم وزرائه قدرة وذكاء وهو المرحوم
نوبار باشا أن يطوف بممالك أوروبا ويمهد السبيل لذلك ، كما وينال موافقة
تركيا ، وفتح له اعتماداً للصرف غير محدود للوصول الى هذا الغرض
فسمى وكند نوبار باشا لهذه الغاية ان كانت مساعيه بالنجاح ، فتمرح
بذلك سمو الخديوي فرحاً عظيماً ، . حيث نال بغيته ، وامر بتشكيل نظارة
الحقانية لهذا الغرض وبهذه المناسبة نذكر ان نوبار باشا قام بحملة اعمال
للوطن العزيز تدل على مهارة كبرى ، وفكر واسع مما تذكره له البلاد
على الدوام بالشكر الخالص

دخول الاقباط قضاة بالمحاكم

وبمناسبة تشكيل المحاكم نقول انه لغاية حكم اسماعيل لم ينل قبلى رتبة
الباشوية الا أن هذا الخديوي هو الذى اشار بدخول الاقباط قضاة بالمحاكم
الاهلية التى تشكأت عقب تشكيل المحاكم المختلطة (بسمي المنفور له فخري
باشا الذى كان اذ ذاك ناظراً للحقانية وله الفخر الأعظم في اتمام تشكيلها وحسن
نظامها مما خلد له ذكراً جليلاً بالبلاط) وكان المتبع في المجالس التى حلت
محلها المحاكم الاهلية ان يكون قضاتها وكتابها وسائر خدمتها قاصرة على
المسلمين بخالف هذه القاعدة المنفور له الخديوي اسماعيل وامر ان
تكون المحاكم الاهلية مثله لمنصري الامة اعني الاقباط والمسلمين فادخل

في وظائفها القضاة والكتاب وسائر ما يتعلق بها من الاقباط، كما يرى الآن في نظام المحاكم المذكورة واتذكر ان اول قاض قبطي هو المرحوم عبد الملاك بك كتكوت الذي عين بمحكمة قنا الاهلية كما كان في عهده وبمقتضى ارادته مباشرة تعيين حكام من الاقباط حيث عين جدي المرحوم يوسف بك عبد الشهيد مديراً لديوان القضايا بمديرية المنيا، وتلك الوظيفة كانت عبارة عن وظيفة نائب عمومي يقوم بعمل التحقيقات في القضايا ويصدر احكاماً اولية يتقدم بها للمجالس لتصدر احكامها نهائياً، وكان الغرض من تعيينه بهذه الوظيفة تمهيداً لتعيينه مديراً للمنيا — وعين ايضاً المرحوم سرور بك القبطي وكيلاً لمديرية الدقهلية، وهذه حسنة من حسناته اوجبت تعلق الاقباط به تعلقاً شديداً يكاد ان يكون في حكم العبادة، وكان ذلك بمثابة رمز عظيم لاتحاد الامة ببعضها، ومحو الفوارق والقضاء على التبعصبات المذهبية مما جعل سائر سكان البلاد كمائة واحدة تشترك بالتضامن في مصالحها، مما يفرض الشكر المتناهي لصاحب هذه المباديء الشريفة، والتي تدل على بعد النظر

حكاية

اسماعيل باشا صديق المفتش

وفي عهد سمو الخديوي اسماعيل رحمه الله كان متخذاً وزيراً أمن وزرائه خليلاً له وهو المرحوم اسماعيل صديق باشا فكان هذا الوزير الوكيل المطلق عن الحضرة الخديوية . نافذ الأمر في كل شيء ، بلغ صيته عند السماء وكان رجلاً وديعاً لطيفاً ، وإنما كان يناسب إليه ضرب الضرائب على الأهالي مما أثقل عاتقهم وكان بدون أدنى كلفة أمام الحضرة الخديوية بما يستدل منه انه كان ليس وزيراً فقط . بل صديقاً حميماً لسموه .

هذا الوزير عاش عيشه انترف التي تقرب من عيشة الخديوي ان لم تكن تماثلها وشيد جملة سرايات باقى من آثاره سراى وزارة الداخلية وسراى وزارة المالية وسراى وزارة حامية وسراى شمس الوزراء وملحقاتها وكان يملك من الجوارى البيض الحسان أكثر من مائة حورية . وكان فى خدمته وخدمة الحرم خدم لا يحصى عددهم من الأغوات والعبيد والمماليك وخلافهم : من هذا الوزير فى هذه المعيشة الهنيئة وتلك العلاقة الودية بسمو الجناح الخديوي رمزاً حيوياً ؟ انى ان عجرت الحكومة عن دفع اقساط الدين لدولتى فرنسا وانجلترا التى استدانته منهما ، مما أدى الى قلق

هاتين الدولتين فاتفقتا فيما بينهما على تشكيل لجنة تحقيق تمحضر لمصر وتبحث موارد الدولة المصرية وتنظر في ميزانيتها ترى اذا كان يمكن التوفيق في سداد اقساط الدين مع حفظ ميزانية الحكومة لإدارة شؤونها وفعلاً تشكأت تلك اللجنة من فرنساوى وانجليزى وحضرت الى مصر لهذه الغاية

فقلق سمو الخديوى من ذلك وسأل اسماعيل صديق باشا الذى كان وقتها ناظراً للمالية عما يفعله مع هذه اللجنة ، فكان جواب اسماعيل باشا (ماذا أعمل يا مولاي إلا أن أقدم لهم الدفاتر والأوراق ليفحصوها ويقولوا ما يقولون) ، فلم يسترح الخديوى لهذا الجواب بل زاده قائماً وتصادف ان كان قدوشى اليه فى حق وزيره بأنه متمرد ومشتغل فى تدبير دسائس ضد العرش ، انتهز فرصة وجود لجنة التحقيق لانهاء اغراضه وكان للرجل حساد كثيرون تضامنوا فيما بينهم للايقاع به بطرق الوشاية المذكورة. كن هذه الحالات حدثت فى وقت واحد وكان فى ذلك الوقت اجناب الخديوى مضطرب الافكار فأخذ رأى وزرائه وعظماء الدولة فيما يجب عمله امم هذه الحالة فأشاروا على سموه بأنه يحسن اذن ابعاد اسماعيل باشا من مصر الى السودان وفعلاً صدرت الأوامر بسفره . ودبرت التدابير اللازمة لهذا الغرض فى سراى الجزيرة حيث كان ينتظره هناك البرنس حسن والبرنس حسن ومصطفى فهمى باشا الذى كان اذ ذاك محافظاً لمدينة القاهرة . وبمجرد وصول اسماعيل صديق باشا اسلم ملك السراى اعتقاله انزل بوابور « خير سعد » الذى كان معداً لهذا الغرض ومنتظراً



مصطفى رياغب باشا

من انقطاع

بجوار السراي وصار تسفيره تحت حفظ قوة عسكرية على رأسها
ضابط جرکسي من ياوران السراي يدعى اسحق بك متجهين به
الى اسوان ، وفي اسوان اركبوه جملا وساروا به الى دنقلا ،
وفي دنقلا توفاه الله الى رحمته تعالى . وقيل انه مات بالحمي
التيفودية ، وكل ما قيل عن وفاته في كوبري قصر النيل وخلافه فلا
حقيقة له بالمرّة

عود على بدء

أما الآن فنعود لمن تولى مراقبة اللجنة الخاصة بالتحقيق فقد
انجحت الانظار الى تعيين المرحوم رياض باشا وكان من أكبر المجاهدين على
الاسراف الذي أوجب أضمحلال البلاد وتأخرها فكشف امام اللجنة
اسراراً كثيرة ولم يترك كبيرة ولا صغيرة ، وقد ترتب على نتيجة تحقيق
هذه اللجنة أن وضعت نظمات حكيمه لايرادات ومصروفات الدولة ،
ولدفع اقساط الديون لأربابها وتنفيذ ذلك الغرض شكت اول وزارة
مختلطة بمصر كان يرأسها نوبار باشا وكان وزيراً للمداخلية فيها

رياض باشا وللمعارف على مبارك باشا ، وعين لوزارة المالية وزير
الإنجليزي اسمه ريفرس ولسن ووزير فرنساوي الماشغال العمومية
اسمه دبلنير

سارت في طريقها هذه الوزارة بنجاح عظيم ، ولكنها قيدت حرية
الخدوي وكان للجيش متأخر مرتبات لم يستطيعوا صرفها فشكوا للحضرة
الخدوية ذلك فقال لهم هذا عمل يخص الوزارة فهجم الجيش على الوزارة ،
وحصل التطاول منه ضرباً وشتماً على نوبار باشا رئيس مجلس النظار وعلى مستر
ريفرس ولسن وزير المالية الإنجليزي ، فتهز الخديوي هذه الفرصة وقال ان
النظارة التي تهاون هكذا لا يصح بقاؤها في الحكم وأمر بأسقاطها ، وشكل
وزارة وطنية برئاسة راغب باشا وكانت نتيجة ذلك ان نوبار وولسن ودبلنير
سافروا لاوروبا وعرضوا الحالة للدولتين فترتب على ذلك اجماها على ضرورة
تنازل الخديوي ،

فرسلنا اشارة للخديوي بضرورة تنازله عن العرش ضماناً
للمصلحة العامة ولا استمرار بقاء مركز العرش في انجمله ، وجابهما بأنه ليس
تابعاً لهما حتى يفصلان في أمره انما هو تابع للباب العالي ، ولا يتلقى امرأ من
سواه ، فأتجهت انظار الدولتين الى مخابرة السلطنة العثمانية التي لم تتأخر لحظة في
اصدار امرها بعزل الخديوي وتولية أكبر انجمله البرنس توفيق ، وان
يتوجه سمو الخديوي اسماعيل مباشرة بعد ترك مركزه الى استانبول ، فأراد



﴿راغب باشا﴾

الخديوى بادىء بدء ان لا ينفذ هذه الارادة ، فنصحه المرحوم شريف باشا بانه لاجل خير عائلته يجب ان يقبل تنفيذ هذه الارادة حيث انه غير مستعد بجيش يقاوم جيش الدولة العلية اذا اراد اخراجه بالقوة ، ولا قوة بحرية تعادل قوتها ويخشى أن يكون هذا العمل موجبا للتمضاء على تولية أي شخص من عائلة محمد علي على عرش مصر ، فسمع المصيحة ونفذ الامر من حيث تنازله عن العرش واستعد للسفر ولكن بدلا عن اجابة امر السلطان بالتوجه الى استنبول قام مباشرة الى ايطاليا وسكن في مدينة نابلى -- هذا ما كان من نتيجة هذه الحادثة

وكان سمو الخديوى اسماعيل عند رحيله من مصر أخذ معه اموالا طائلة وعقد النية أن يبذل المساعي الممكنة والغير ممكنة لدى فرنسا وانجلترا والدولة العلية حتى يعود الى عرشه بمصر ثانية . فعصر في هذا السبيل اموالا طائلة لا تحصى ، وكاد أن يرس الى غرضه ولكن حانه الحظ في آخر وقت حيث وجدت عقبات اوقعت الوصول الى الغاية المطلوبة . ومما كانت الباب العالي حائما عليه بسبب مخالفة اوامره وذهابه الى ايطاليا بدلا عن استامبول فقد بذل الخديوى اسماعيل مجهوده لاصلاح ذات البين بينه وبين الباب العالي - وعن مساعي كثيرة يتطلب بها السماح له بدخوله استنبول وعرض اخلاصه بخلافة السلطان مستعمت تركيا خداعها المعروف في اخلاق بعض رجالها ، واطهرت له بالراء تمام وصرحت له بالدخول ، ففرح بذلك سمو الخديوى فرحا شديدا واعتقد

ان اكبر العقدة قد حلت وانه بمجرد دخوله استانبول سيدنال بغيته فذهب على الفور اليها وفعلاً سمح له بمقابلة جلالة السلطان ، فقابلته أحسن مقابلة ، وكان في وقت مقابلة جلالاته موجوداً ايضاً البرنس حلیم في حضرته ، ومعلوم أن الكراهة المتبادلة بين البرنس حلیم والخديوي اسماعيل كانت قد وصلت الى أقصاها ، فأمرها السلطان بمصافحة بعضها بعضاً فزاد بذلك اطمئنان الخديوي اسماعيل ، وبعد انصرافهما من الحضرة السلطانية وتوجه كل منهما الى سرايه أعطيت أوامر من جانب الحكومة السلطانية بأن سمو الخديوي اسماعيل ليس مصر حاله بالخروج من سرايه فأصبح كسجين فيها لا يتمتع بحرية الحياة ، وعض أصابعه وندم لما فرط منه من الغلط اعودته الى استانبول بعد ان كان طليقاً يجول في مدن اوروبا ، طويلاً وعرضاً فظل هناك زمناً طويلاً حتى مرض المرض الأخير ، فسمى بأن يسمح له بالعودة الى مصر لموت ويدفن فيها فقبلت السلطنة ذلك الالتماس حيث تحققت من نهاية حياته وسمح اللورد كرومر بذلك وسمح الخديوي عباس مبدئياً في ذلك الوقت ، ولكن رجل من رجال السراي الخديوية يعد غرس نعمة الخديوي اسماعيل قام معارضاً لهذه الفكرة ، وظهر للخديوي عباس انه اذا عاد الخديوي اسماعيل وهو حي لمصر لسقط عن عرشه ، فدخل وسواس عظيم في نفس سمو الخديوي عباس من ذلك وتردد كثيراً في الأمر وأخيراً رفض بتاتاً السماح له بالعودة الى مصر ، ذلك الموظف الذي اثار هذه الفتنة نظير النعم التي غمره بها اسماعيل هو محمود شكري باشا الذي كان رئيس ديوان السراي التركي ولم تمض على هذه الحادثة خمسة

ايام حتى قرىء في الجرائد نعي الخديوي اسماعيل باشا باستانبول ، فأتى به الى مصر باحتفال لائق بقدره ، يتفق مع مقامه ومشى في جنازته الخديوي عباس وجميع افراد العائلة الخديوية وقناصل الدول وسائر الحكام واعيان واهالي البلاد الى ان واروه التراب في جامع الرفاعي الذي كان انشأه لهذا الغرض رحمه الله رحمة واسعة

وكان من مطامع الخديوي اسماعيل ، ومن امياله الكبرى ان يصبح يوماً ما امبراطوراً على افريقيا ، وفعلوا وصل بسعيه الى ان نال وعداً من نابليون بونابرت الثالث امبراطور فرنسا ، ومن جلاله السلطان عبدالعزير تحت شرط ان يكون داخلاً تحت دايرة نفوذه ، السودان بأكمله ومملكة الحبش ، فسعى وجد الى ان استحوذ على السودان وملحقاته مثل سنار وهرر وخلافهما ، وكان المضد الاول للحكومة المصرية في استيلائها على السودان هو الزبير وحاكم السودان العام عبد القادر باشا حامي وكان الزبير رجلاً هماً شجاعاً مقداماً ذا نفوذ كبير جداً في بحر الغزال ، وبعد ان اتم جهاده في الاستيلاء على كل ما طلب منه من ضم اراضي السودان واخضاعها الى الحكومة المصرية ، وشا في حقه الوشاة من حكام مصر للجناب الخديوي حسداً منهم له فوصات بهم النخبة الى ان ادخلوا في ذهن الخديوي ان هذا الرجل يخشى منه ان ينادى باسمه خديوياً على السودان والخلاص منه واجب وضروري لمصر فدير الخديوي حيلة لتنفيذ هذا الغرض — وتلك الحيلة هي انه انعم عليه برتبة باشا واوعز الى بعض حكام السودان المصريين ان يقولوا له انه من التقاليد المزعومة انه عندما ينعم

على عظيم من العظماء بمثل هذه الرتبة الرفيعة . يجب عليه ان يلتبس مقابلة سمو الخديوي بتقديم التشكرات لذاته الفخيمة ، ولما كان الزبير حسن النية وعاملاً مخلصاً لخدمة مصر ولا يداخله ادنى شك في حسن نيتها امام ما قام به من الخدمات . دخلت عليه الحينة . وطلب الاذن من الخديوي بحضوره لمصر فاذن له في الحال بالتيام فحضر فوراً واستحضر معه هدايا عديدة من جوار وانغوات وریش نعام وسن فيل — واحضر كميات كبيرة منها لتقديمها للمجناب الخديوي ووزراء مصر — وتصادف حال مروره بالسكة الحديدية بمصر ان كنت انا برفقة المرحوم سلطان باشا بمحطة مغاغة ولما كان اسم الزبير واسمه معلومة لسلطان باشا واسم المرحوم سلطان باشا معروف بشهرته لدى الزبير باشا تقابلا وتعانقا واطهر كل منهما للآخر محبة واخلاصاً ، فعز على سلطان باشا ان يكتم عن الزبير ما ينويه له الخديوي فقال له كيف دخلت عليك الحينة وانت رجل ذكي كثير التجارب وتركت بلادك واتيت لمصر ؟ — فقال الزبير ما اتيت مصر الاقامة فيها واسكني اتيت لتأدية واجب للخديوي واعود في الحال فقال له المرحوم سلطان باشا ارجو الله ان يحقق لك ظنك واسكني اخشى أن تطول اقامتك في مصر . وحينذاك آن موعد قيام القطار ، فقام بعد ان تصالفا طويلاً

دخلت على افكار الزبير هو اجس ووساوس من عبارة المرحوم سلطان باشا ولكنه كان يرجح دوماً انه يتغلب عليها معتمداً على ما قام به من الخدمات . ولكنه بمجرد وصوله الى مصر ، وان كان قوبل بمقابلة فاتح عظيم وقبلت منه الهدايا التي قدمها للسراي وللاوزراء ، الا انه صدرت اوامر

ببقائه بمصر وعدم عودته للسودان ، وظل محجوزاً بمصر في مدة اسماعيل وفي مدة توفيق وما عاد الى السودان الا عند قيام اللورد كتشير بالحمة التي قادها لاسترجاع السودان اثناء فتنة المهدي وكان من رجاله العاميين العظام ، وكان ذلك في عهد سمو الخديوي عباس

وفي ذات الوقت الذي كان الخديوي اسماعيل مشغولاً فيه بالاستيلاء على السودان بواسطة حملة مصرية عسكرية والزبير تحت اشراف عبد القادر حامي باشا حاكم السودان العام وقتها ، كانت ايضاً مهتماً بمحاربة الحبشة بواسطة حملة عسكرية كبرى يرأسها البرنس حسن الذي كان اذ ذاك وزيراً للحربية . ولكن خانه اخذ حيث كسرت الحبشة الجيش المصري واسرته وتمزت مساع عظمى لثبابة البرنس حسن وعودته بالسلام بمصر

ومن بعد هذه الحادثة اخذ نجم الخديوي اسماعيل في الافول حيث مات السلطان عبد العزيز الذي كان اكبر عضده كما انه اسر الامبراطور نابليون في الحرب التي قامت بين فرنسا و المانيا في ذلك العهد المعروفة بالحرب السبعينية ، وكانا الركن الاعظم لتعظيم اسماعيل ، فضاعت جميع آماله من تلك الوجهة

وكانت لاسماعيل نوادر كثيرة جنسية . اعرف انه يوماً من الايام دخل عليه منتشر من مفتشي مزارعه وكان اسمه عكوش باشا وقل له يا افندي اني وجدت كبراً ثميناً لا ينفي للبلاء ، اعرض تنصيراته على مسامعك الشريفة . ذلك الكبر هو انه ازرع ستين الف فدان ملث الدائرة نسانية

بالفيوم اشجار زيتون ممكن ان يستخرج منها مقادير لا تحصى من الزيت ليس فقط اموتن منها جميع الآلات والمكينات الداخلة في دائرة القطر المصرى، وكذلك السكك الحديدية المصرية باجمعها، بل يمكن اصدار منها مقادير عظمى لاوروبا فتأتينا بريح طائل. ولما كانت الفابريكات التى تلزم لعصيره يستغرق استحضارها وتركيبها واعدادها للادارة زمناً طويلاً فارجو من سموكم صدور الامر من الآن باستحضارها حتى في هذه الفترة يكون قد بلغ الزيتون رشده واخذنا ثماره والا تتأخر في عصيره

فسر بهذا الخبر سمو الخديوى سروراً عظيماً واستدعى في الحال المرحوم سلطان باشا الذى كان اذذاك حاكماً عاماً للصعيد وأمره بعد ان قص عليه الرواية ان يعمل ما يلزم لاستحضار آلات هذه الفابريكات حالا من أوروبا، فضحك المرحوم سلطان باشا وقال : يامولاي لم يغرب على شريف علمكم ان عكوش باشا رجل مشهور بالكذب، فاذا اعتمدنا على مثل هذه الاقاويل الكاذبة وهي محققة من الآن، وبرهاناً على ذلك طلبه استحضار الآلات قبل زراعة الزيتون الذى لا نعرف اذا كان ينجح ام لا ينجح، فنكون نحملنا بمصاريف جسيمة جداً باستحضار تلك الآلات الغير مضمونه فائدتها فلننتظر حتى يزرع الزيتون وينمو ونرى ثمره وحينئذ انك نحكم اذا كانت الحالة تستدعي احضار تلك الآلات من عدمه، فأجابه الخديوى بما يأتى : — اسمع يا سلطان باشا انا أعرف ان عكوش باشا كذاب، ولكن كذبه يبدطني وأعرف انك انت صادق ولكن صدقك يضايقني، فأذهب واطلب الآلات واته، فذهب سلطان باشا وهو ممتلى، استغراباً وفعلاً طلب

فابريقتين لعصير الزيت وتم تركيبهما بالقيوم ولم تستخدما في استخراج الزيت لغاية الآن

ومن نوادر الخديوي اسماعيل ايضاً انه كان حريصاً جداً على عرشه فعلم يوماً من الايام ان رجلاً باحدى بلاد مديرية جرجا يدعى «جعلص» ادعى الولاية ، واخذ ينادى بانه سيكون خديوياً لمصر فالتفت حوله بعض من الرعايا ، فما بلغ خبره لمسامع الخديوي حتى امر بشنقه في وسط البلد حالاً ، وتوزيع اهالي البلد التي ظهر منها هذا الشرير على البلاد المجاورة وهدم البلد وحرثها لتكون اراضي زراعية حتى لا يكون لها أثر في الوجود بعد أن ظهر منها هذا الشرير

وكان له تطورات غريبة ، فكان مثلاً يرفع رجلاً من الزبالة الى أعلى الدرجات ويوليه أكبر المناصب بينما كان يسقط أعظم رأس في البلد من أعلى الدرجات الى اسفل السافلين ، مثال ذلك انه امر بتعيين شاهين باشا الذي كان وزيراً للحرية والبحرية مأموراً لتشغيل سكة حديد السودان ، وسلطان باشا مفتشاً للقيوم بعد أن كان حاكم الصعيد العام ، ورؤوف باشا بعد ان كان حاكم السودان العام اصبح مديراً لجرجا ، وأعرف مرة انه عين المرحوم علي باشا مبارك ناظراً للاشغال وأسند اليه نظارة المعارف العمومية ومحافظة مصر وإدارة السكة الحديدية وبعد ذلك بأشهر قليلة سنب منه كل هذه المصالح وجعله باشمهندساً للركاب العالي فقط

وكان اسمو الخديوي اسماعيل حركة لا تهتم على الدوام مشغولاً بتصرفات امور الحكومة تحت نظره الخاص كثير النشاط ، محباً لتفريح حلو الحديث

يحب العلماء النيرين، وكان متخذاً منهم عالمين فاضلين وهما المر حومان الشيخ على
الليثي والسيد على أبو النصر، كانا بصفة نديمين يلتذ لسماع حديثهما ويسر لكتاتهما
كما كان يجمع بين الصفات الباريسية وجميل الشئام العربية، محبوباً
من جميع الأمة المصرية مع أنها كانت تخشاه وتهابه وتخاف سلطته، وكانت
الأمة في عهده في هناء وسرور

وكان يوجد في عهده كثير من الأنظمة القديمة التي تركها له الولاة السابقون
منها أنه كان يوجد في كل مديرية - منجق، على رأس ستاية عسكري باش بوزاك،
خليط من جميع الاجناس والاصناف، وكانوا يعيشون في الأرض فساداً،
وربما كان وجودهم أكبر العلل لخلل الأمن العام كما أنه كان يوجد عدد كبير
جداً من العربان المنتشرين بالجبال والسواحل يسكنون الخيش والنجوع
وكان أكثرهم يعيش من اللصوصية، فأراد الخديوي اسماعيل أن يتخلص
من كل هؤلاء، فأمر حكام الجهات أن يوعزوا إلى الفريقين بأن الحكومة
ستغزو السودان وأنه سيور كل اليهم هذا الأمر - - أي للسناجق وعسكره
والعربان، وكان ذلك في الوقت الذي وجه فيه الخديوي حملة للاستيلاء على
السودان، وضمنه إلى مصر، ففرحوا بذلك كثيراً، وسرعان ما تهيأوا للسفر،
وصرفت لهم خريفة الحكومة ما لزم لتسفيرهم ولتقضاء مصالحهم الوقتية
فسافروا جميعاً للسودان، إلا أن العرب احتاطوا للأمر بأن ابقوا منهم جانباً
كبيراً هنا ليكون تحت الامداد من دخل الحرب، وحال وصولهم للسودان
واندماجهم في المحاربة، صدرت أوامر من هنا لما تم السودان العام وكان اذ ذاك

عبد القادر باشا حلمي ، بعدم السماح لآتي منهم بالعودة الى مصر ، اذا سلم من الحرب . وهذه الوسيلة قد تضررت البلاد من وجودهم واستراحت العباد من شرورهم

اقباط المنيا والمبشرون الامريكان

ومن المسائل ذات الاهمية الكبرى التي حدثت مدة الخديوي اسماعيل . انه ظهر مبشرون من الامريكان ، كانوا يطوفون بالبلاد لتبشير الاقباط بالمذهب البروتستانتي ، فامكنهم ان يستميلوا اليهم في مدينة اسبوط عاتيتين هما عائلة ويسا وعائلة خياط ، وهاتان العائتان اول من خرج من المذهب القبطي الارثوذكسي الى المذهب البروتستانتي

وبعد ذلك حضر المبشرون الامريكان الى بندر المنيا . وكان اقباط منيا وقتها يتبعون نسيحة جدي المرحوم يوسف بك عبد الشهيد في كل امر ، فنصحهم بأن لا يتواجدوا في اى اجتماع يدعون اليه هؤلاء المبشرين ، فقبل اقباط المنيا نصيحته ، ولذلك غضب المبشرون على رؤسهم الدكتور عوج . ورفعوا شكوى لقنصل عام امريكا بمصر ضد المرحوم جدي ، وقد بلغها هذا القنصل انظاره الخارجية التي بلغها نظارة الداخلية ، وهذه شرحت عليها وحولتها مديرية المنيا لعمل تحقيق عن ذلك ، فاطلع المدير وقتها المرحوم جدي على هذه الشكوى ، فطلب بنفسه من سعادة المدير ان يستجوبه كتابة ، فجاوبه الى طلبه ، فوجه اليه سؤالاً يطلب منه فيه تصريحاً عما حصل في هذا الامر الذي يشكو منه المبشرون الامريكان فجاوبه قائلاً — الامر بسيط جداً ،

هؤلاء المبشرون حضروا لبلدنا يطلبون منا ان نخرج من ديننا فرفضنا ذلك، فهم يشكون من بقانا على مذهبنا، فاذا كانت الحكومة تود ان تساعد هؤلاء الاجانب على خروجنا من مذهبنا واتباع مذهبهم فلتقل لنا ذلك بصراحة ونحن نقدر في الامر

فاما بلغ الجنات الخديوي أجابة المرحوم جدي بهذا الشكل، سر سروراً عظيماً منه، واستدعاه وشكره. وأنعم عليه بنيشان رفيع في وقتها، لان الخديوي كان في حالة غضب شديد من تصرفات المبشرين بالبلاد المصرية، وكان يزداد كدراً عندما يسمع بأي قبضي خرج من مذهبهم وتمذهب بمذهب الاجانب، ولذلك، ولكي يقضي على هذه الحركة، استحسن ان يقوم غبطة البطريك وقتها المدعو الانبا ديمتريوس بسياسة، وان يكون تحت أمره وابور من الركاب الخديوية، وخدم من المسافرين الخديوية، ويطوف ببلاد الصعيد، ويكون اندرون وحكام الصعيد في خدمته، وتحت أوامره، فطاف البطريك بهذه المظمة والمخنخة التي كان لا نظير لها بمعوم بلاد الصعيد، فكان في طوافه هذا بهذا المظهر، وما قدم له من التبجيل والتكريم، القضاء المبهم على تلك الحركة التي كان يراد منها تتبع الاقباط لكنيسة أجنبية— وبتعني أوضح خروجهم من الرعوية المصرية الى الرعوية الامريكانية— والفضل كل الفضل في ذلك يعود للخديوي اسماعيل، وبعد نظره مما يحفظ له الذكر الذي لا يمحي بالحمد والثناء

الجمعية الخيرية القبطية

ومن المسائل الهامة التي حتمت في عهده ، هو ان قام فريق من الاقباط الذين اتسمت أخلاقهم بالميل الى خدمة الانسانية ، وفكروا في تأسيس جمعية خيرية قبطية ، لتخفيف ويلات الفقير ، واعدانة المسكين ، وتربية اليتيم ، وذلك الفريق هو حضرات

- | | | | | | |
|----|--------------------------|------|----|----------------------|-----|
| ١ | مرقس بك مفتاح | رئيس | ٢ | برسوم افندي حنين | عضو |
| ٣ | غطاس افندي حنا | عضو | ٤ | جرجس افندي بقطر | » |
| ٥ | جرجس افندي عصفور | » | ٦ | يعقوب بك نخله | » |
| ٧ | تادرس افندي حنا الجيزاوى | » | ٨ | يسى افندي عبد الشهيد | » |
| ٩ | بطرس افندي ابادير | » | ١٠ | الخوارجارزق اوريا | » |
| ١١ | حبشي بك مفتاح | » | | | |

وجميعهم توفوا ولم يكن باقياً منهم على قيد الحياة إلا حضرة حبشي بك مفتاح ، وكان هذا الفريق برئاسة المرحوم مرقس بك مفتاح ، الذي كان بحق رجل الاصلاح وخادم الانسانية ، فقام بتأسيس الجمعية المذكورة بمقتضى محضر في سنة ١٧١٨ وهذا المحضر محفوظ تحت يد حضرة حبشي بك مفتاح شقيق المرحوم مرقس بك مفتاح رئيس مؤسسي الجمعية وهذه الجمعية هي القائمة الآن برئاسة صاحب العزة جرجس بك النطون ، وقد أدت كثيراً من الاعمال في تخفيف ويلات الانسانية ، ونشر التعليم ، ومن أعمالها الباهرة انها أسست المستشفى القبطي والمشغل البحري ،

وهي التي تصرف عليهما من إراداتها الخاصة فتدعو لها بالنجاح الدائم
وبهذه المناسبة نقول ان حضرة جرجس بك انطون رئيس هذه
الجمعية الحالي، أدى مجهودات لا تنكر في تعزيز أركانها وخدم تقابل بالشكر
والثناء مما يفرض علينا ان نعلمه على الجمهور



واتذكر انه في عهده كان يوجد مدير اسمه داود باشا، ظل مديراً في
مديرية قنا زمناً طويلاً، وكانت هذه المديرية إذ ذاك ممتدة بالاشراق
وقطاع الطرق وسافكي الدماء، بحيث كان لا يمكن لأي انسان أن يسير في
طريق ما سوا، أكان ليلاً أم نهاراً. ويكون آمناً على حياته. وكان اهتمام
ذلك المدير منصرف في تطهير المديرية من هذه الأحوال المشينة، وكان
يعتمد أيضاً. انه اذا اعتمد على أحكام المحاكم وتحقيق النيابة، لا يصل الى
نتيجة فعالة، لانه كان يقول انه مهما قيل في حق جاني من الجناة، للنيابة
او للمحكمة، فما سهل على النيابة او المحكمة من ان تقول - الادلة غير
متوفرة - وتحكم بالبراءة

ثبت في ذهنه هذا - ورغب رغبة أكيدة في تطهير المديرية فسن
طريقاً مخصوصاً اتبعه، وذلك الطريق، أن القاتل اذا ثبت لديه أنه قاتل
فعلاً. ووجد من الادلة ما يقنعه بذلك أمر بقتله في السجن خنقاً، وبعد
الوفاة يأمر حكيمباشي المديرية بان يصدر شهادة بانه مات بالحمى التيفودية،
وافتر ان أحد الاطباء توقف مرة في ذلك فصر به وارغمه على توقيع
الشهادة فوقها.

وكان ايضا اذ اثبت لديه أن رجلا فضح عرضا أونهب بيتا، ولم يقض على حياة انسان في أثناء ارتكاب جريمته هذه، فيكتفي بأن يفقده بصره كحل عمله خصبعا لذلك .

ترتب على هذا أنه لم تمض مدة طويلة من الزمان حتى تطهرت المديرية تطهيرا تاما، واصبحت المرأة وهي متحليه بجميع حلاها، تسير في جميع طرق المديرية سواء اكان ليلا أم نهارا بدون ان يتعرض لها انسان، حتى ضرب المثل الاعلى بالتشاور الامن في جميع ربوع المديرية .

وكان يميل الى العدل كثيرا مهابا كلفه، وافكر ان امرأة حضرت اليه يوما بالمديرية وقالت له بنص اللفظ - العمدة نهب جاموستي ياد اود وانت في المديرية فهل يرضيك ذلك؟ فقال لها لا ستأخذين جاموستك اذا كان كلامك صحيحا، وقد كانت عملت له عملية بواسير في ذات اليوم وكان لا يصح ان يركب أي ركوبة لهذا السبب، ورغم تنبيه الحكماء بما يعود عليه من الضرر اذا ركب. قال، أنه لا يهدأ له بال، ولا يستريح له سر. الا اذا ردت الجاموسة لصاحبها - داود موجود وتسرقت جاموسة امرأة بواسطه عمدة بلد؟ هذا كثير - !

وطلب في الحال بغلة كان قد اعتاد أن يركبها وامر المرأة ان تركب دابتها وتذهب بمعيتها، وقام ركبه قصداً الناحية التي تمطها تلك المرأة . واستحضر العمدة، وثبت له من سؤاله اياه، أنه نهب الجاموسة حقيقة، فستردها منه وسلمها لصاحبها، وارغمه على دفع خمسة حنبيات تعويضا للمرأة، وبعد ذلك جلده تأديبا لما اقترفه، ورجع نفورا مسرورا بماله،

وكان له قصص كثيرة من هذا القبيل ، ذكرنا منها هذه القصة على سبيل التمثيل .

وبعد أن تضررت المديرية نقل الى مديرية جرجا ، فطهرها أيضا ثم نقل الى مديرية الجزيرة . وكان في ذلك الوقت ، أكبر اهتمام بالحكام بالأقاليم في تحصيل الاموال الاميرية وسائر الضرائب ، وما بقي بعد ذلك من أعمال المديرية ، كان ثانويا في نظر الحكام ، فعندما نقل مديرية الجزيرة ، اهتم كثيرا بتحصيل الاموال ، واتصل به ان جميع أهالي المديرية يدفعون عن طيب خاطر كل الضرائب المطلوبة منهم ماعدا أحد كبار عماء الازهر الذي كان يملك أرضا بتلك المديرية ويسكن بالجزيرة ، فهو الوحيد الذي كان لا يدفع الاموال ، فتراكت عليه التأخرات كثيرا من هذا القبيل ، فطلب المدير كشفا بجميع المتأخر عليه لغاية ذاك التاريخ ، وأرسل رسولا يستدعيه ، فرفض العالم التوجه المدير وقال لا شغل لي عنده ، فعندما حضر الرسول وابلغ المدير ذلك فقال ، وهل رسول داود يصح أن يكلف بأمورية ويرجع بدون قضائها ؟ نومه يا ولد ، وجلده جلدا مؤثما وقال له اذهب واستحضره حالا بأي كيفية ، فذهب الرسول الى العالم وفي يده كرباج عظيم وقال للعالم تفضل كلم المدير . فابتدأ العالم يعتذر ، فضربه الرسول ضربا فما كان من العالم سوى ان خضع وامتلأ وذهب صحبته المدير وكان ذاك العالم لا يساملا بس فاخرة من الجوخ والشاهي ، فدخل على المدير وقال ، السلام عليكم ورحمة الله ياسعادة المدير ، وهم ان يجلس بجانبه ، فقي الحال صرخ المدير صرخة عالية وقال ، يا ولد فدخل عليه اثنان من القوامين ، وقال لهما

خذا هذا الكلب (مشيرا الى العالم) واضر حوه أرضا، فطر حوه أرضا ووضعوا
رجليه في فلقة سلسلتها حديد، وامر بجلده بالكر ابيج فاشتغلت الكرا ابيج على
اقدامه وهو يصرخ ويستغيث، فقال له المدير، لا يكف عنك الضرب الا اذا
دفعت كل مطلوب الحكومة على آخر قرش، وفي الحال اسرع واستحضر
من بيته كل مطلوب الحكومة، وحينئذ لك كف عنه لضرب، وما استطاع
العالم بعد ذلك ان ينهض على رجله لما حل به من الألم، فخلوه على الأيدي
واوصلوه لمرأته في بيته

ذاع هذا الخبر حتى وصل نسامع علماء الأزهر . فقاموا وقعدوا له ،
وتشكل منهم وفد برئاسة شيخ الجامع الأزهر ، وقصدوا سراي عابدين
وتشرفوا بمقابلة سمو الخديوي اسماعيل وقالوا له ، يا افندينا في عصرنا ،
عصر النور والعلم ، الذي رفعت فيه راية العلم ، وعظمت قدر القائمين به
ورفعت شأن الأزهر الى عنان السماء ، يضربون فيه العلماء بالمدة والكر باج
كأمر الفلاحين ؟ فقال لهم من فعل ذلك ؟ قالوا داود مدير الجزيرة يا افندينا
فأمر في الحال باستحضاره ، فذهب خيال عمق خيال لاستحضاره . والعلماء
في انتظار قدومه عند الحضرة الخديوية ، واذا بداود باشا قد حضر ، وهو
ثابت الجنان ، ولم يكن عنده ادنى اضطراب بخلاف ما كان ينتظر ، وسأله
افندينا ، هل انت ضربت العلم فلان ؟ قال نعم ، قل وكيف تضرب علما ؟
فقال ، افندينا نائب الخليفة في الحكومة المصرية ، وانا نائب الخليفة في
مديرتي ، وهذا العالم ثبت لي انه شتم النبي ، فلم يسعني وانا خليفة الخليفة
الا تأديبه ، فأمرت بجلده جلدا عظيما - فما كان من العلماء الا ان قالوا

من شتم النبي لا يكتفى تأديبه بالجلد ، بل لا بد من رجه ، فقال داود باشا
ولسكني جلده جلداً مؤثماً ، واخضع بعد العذاب الذي ذاقه من يدي لا يصح
رجه ، حينئذ قال افندينا مادام ضربه ضرباً مبرحاً فليكتفى بذلك

ثم انصرفوا معطين شكرهم وارتياحهم لما فعله سعادة المدير كما اعلنوا
امتنانهم وسرورهم من اهتمام ولي الامر بمصالحهم

ولكن افندينا وان كان ارتاح للخلاص من هذه الورطة ، الا انها
لم تخل عليه ، ولذلك بعد ان انصرف وفد العلماء ، سأل افندينا داود باشا
ما هي الحقيقة ؟ فقال داود باشا يا افندينا ، هذا الرجل بتوقعه في دفع مال
الحكومة يعطى على تحصيل اموال المديرية ، فبجلده حصلت جميع المطلوب
منه ومن اهالي المديرية ، فقال افندينا ، عظيم وخليك هكذا وكل مرة وقع
فيها مثل هذا الحادث « شتم النبي » وانتهت الرواية على ذلك

لطائف لبعض المديرين

اتذكر انه عين مدير لبني سويق احد عمد البلاد ، وكان اسمه
جابر بك ، وكان المعتاد وقتها ان يفرض على البلاد تقديم جمال لمشال قصب
الدائرة السنوية (اعني دائرة سمو الخديوى اسماعيل) لتوريده للفابريقات
فطلب من كل بلد عدداً معيناً من الجمال - فقال احد عمد البلاد للمدير -
لقد طلبت مني مائة جمال ولم يكن بيلدى ديل واحد من جمال منها ، فقال
المدير ، وانا مالي هات من تحت الارض ، فقال العمدة هو تحت الارض
فيه جمال من عملاك مدير ؟ فاغتاظ المدير واستدعى قواصه التركي وقال

له ارطن على هذا الرجل فقال له « سكرت كرتة بزافن » فهرب الرجل
وهرب المدير معه - لانه ظن انه لم يزل شيخ بلد كما كان غصبات له رجلة
الى ان وعي لنفسه

ومن ضمن نواذر هؤلاء القوم ان احدهم عند ما كانت ترد البوسته
وتقدم اليه حسب العادة يفتحها و كان كلما رأى ملفاً تابعاً لخطاب في مسألة
يمسك الملف ويمزقه اربا اربا ويحتفظ بالخطاب فكان عند ما يرى ذلك
الباشكاتب يتدب سوء حظه فيقول المدير له ، هذا غش نقش مالوش
لزوم ، ومن غير فائدة فكان يضطر الباشكاتب لان يأخذ سبت الاوراق
المهمله ويصرف وقته في البحث عن قطع اوراق الملفات

ويوجد نواذر كثيرة من هذا القبيل ولكن عهد هؤلاء لم يدم كثيراً
أما ما كان يوجد من الحكماء الجهلاء الاثراك فكانوا يعتمدون في
كل اعمالهم على الباشكاتب ونوا انه كان يقع منهم مثل هذه الغضبات ايضاً
حيث عند فتح البوسته والنظر في أى امر يقول للباشكاتب - خذ هذا الورق -
هات كلام من عندك - اعمال لازم - ومن ضمن نواذر احدهم الذى كان
مديراً بالمنيا - والعادة القديمة في عنوان مديرية المنيا هو - مديرية المنيا
وبني مزار - فعند ما اراد الباشكاتب ان يمضي منه اول خطاب لنظارة
المالية قل له - يا باشكاتب ايه مكتوب في الامضاء - قل الباشكاتب مدير
المنيا وبني مزار - فقال المدير وفين النقش ؟ فقال الباشكاتب هناك في محبها
فقال المدير انا عارف شغلك يا باشكاتب انت مسكت تمشن اعطيته مدير
بني سويف انا عارف شغلك - انا لا اختم جواب مادام مفيدش تمشن -

فالباشكاتب لأجل انجاز العمل وعدم التعطيل اضطر لأن يضيف في الامضاء « والفشن ايضا حسب امره » . فعندما وصل هذا الخطاب بهذه السكيفية لنظارة المالية ، اندهش ناظرها وكان وقتها المرحوم اسماعيل صديق باشا ، واندهش اكثر منه المرحوم وهبه بك الجيزاوي المحاسبجي (باشكاتب المالية) وكان صاحب الكلمة العليا وقتها — فصدر أمر نظارة المالية لتفراغياً للباشكاتب بالحضور ونا حضر وسأله ما هذا الخلط يا باشكاتب وانت من أعظم الباشكاتب فقال ، وما ذنبي وقص عليهم الواقعة ففضحت ناظر المالية وهبه بك كثيراً ، عندما سمعها هذه الرواية وأخيراً استدعيا المدير وفهام خطأه ونصحاه بأنه يتبع نذائح الباشكاتب لأنه عارف الاصول وأدرى بها فقال بك افندم

وبعد ان خرج من النظارة تقابل المدير مع الباشكاتب وقال له باشكاتب افندم ، انت زعلان فقال أبداً يا سعادة المدير ، انما الامضاء هي التي عملت كده

التنازل عن اطيان الدائرة السنوية

ومن الحوادث التي جرت في عهده أيضاً ، ان عملت مساع بمعرفة المرحوم نوبار بهشارئيس الوزارة وقتها ، باقتناع سموه ان يتنازل عن املاك الدائرة السنوية للحكومة ، والدائرة السنوية هي عبارة عن وزارة زراعية كانت قائمة بادارة شؤون أراضى الجناح الخديوي ، وكانت تنقسم الى تفتيش

وكل تفتيش منها لا يقل زمامه عن ستين ألف فدان ان لم يكن أكثر .
وتلك التفتيش هي : -

أرمنت ، الغنمية ، المطاعنة ، الروضة ، أبو قرقاس ، المنيا ، معصرة
سمالوط ، مطاي ، بني مرار ، آباء ، الشيخ فضل ، مغاغة ، سلاقوس ،
المنش ، بيا ، الفيوم . اورمان أبو بلح ، بسنديله ، طناح

وكل تفتيش من هذه التفتيش عبارة عن مديرية . وكان المفتشون
القائمون بهذه الأعمال لهم السيطرة العليا على موظفي الحكومة . ولهم النفوذ
اللاحد له ، وكان يتبع كل تفتيش من هذه التفتيش طريقة لمسير القصب
وعمل السكر ، ربما كان يقرب ثمنها ومصاريفها اغاية ادارتها من المليون
جنيه ، ماعدا تفتيش اورمان أبو بلح ، وبسنديله . وطناح حيث كان
لا يزرع فيها قصب

فنجح نوبار باشا باقناع الخديوى ، فى ظروف اشنت فيها الضائقة
المالية ، وتعدرسداد السكوبون الخاص بديون الدائرة ، بأن تنازل الخديوى
عن هذه الاملاك جميعها للحكومة ، التى أخذت على عاتقها ان تدبرها
بمعرفة ، واذا عجزت ارادتها عن سداد مدهوم مطوب عيها ، تقوم الحكومة
بسداد العجز ، فى نظير ما تؤون ملكية هذه الاحيان وما يتبعها للحكومة
وتتصرف فيها كيف تشاء كانه (أي نوبار باشا) نجح أيضا فى الحصول
على تنازل أعضاء العائلة الخديوية عن أملاكهم ، المعروفة الآن بالدومين ،
للحكومة بذات شروط تنازل الدائرة السية ، وفى نظير ذلك خصصت
لهم مرتبات يتقاضونها من الحكومة شهرياً

وقد انتهت مدة الدين الآن الخاص بهذه الاملاك وباعت الحكومة جميع أملاك الدائرة السنية للأهالي، كما أنها باعت جانباً عظيماً من أملاك الدومين أيضاً، بما زاد في ثروة الأهالي ورفاهيتهم وتحسين حالتهم المعيشية أما الفابريقات، فقد بيعت بيع التراب، حيث أن الفابريقة التي تكلفت ماينوف عن المليون جنيه، بيعت حديد خرده بما لا يزيد عن عشرة آلاف جنيه، ولم تبقى من هذه الفابريقات سوى ثلاث، هي ابوقرقاس والشيخ فضل وأرمنت وهي باقية لغاية الآن وتابعة لشركة السكر

السرايات

وقد بنى اسماعيل في عهده جملة سرايات منها، سراى القبة — سراى عابدين — سراى الاسماعيليه — وثلاث سرايات بالجزيرة — وسراى الجزيرة — وقصر النهضة بشبرا — وسراى المنيرة — وسراى المنيا — وسراى الروضة

واسماعيل باشا بالاجمال، عاش عيشة ترف لم يتيسر لأى ملك ان عاش عيشة نظيرها، إلا سلاطين تركيا، وقد اغدق حسناً كثيرة على الفقراء والمساكين، وأقام منار العلم في مصر، وخدم مصلحة الزراعة أعظم خدمة، ونظم طرق الري بأحسن الوسائل، وبالاجمال فكما كان محمد على باشا هو منشيء عصر الحديث العظيم، كذلك اسماعيل كان مصلحة العظيم، ومبعث خير، لها رحمه الله رحمه واسعة وجمال الجنة مثواه .

وقد انتهت مدة الدين الآن الخاص بهذه الاملاك وباعت الحكومة جميع أملاك الدائرة السنية للأهالي، كما أنها باعت جانباً عظيماً من أملاك الدومين أيضاً، بما زاد في ثروة الأهالي ورفاهيتهم وتحسين حالتهم المعيشية أما الفابريقات، فقد بيعت بيع التراب، حيث أن الفابريقة التي تكلفت ماينوف عن المليون جنيه، بيعت حديد خرده بما لا يزيد عن عشرة آلاف جنيه، ولم تبقى من هذه الفابريقات سوى ثلاث، هي ابوقرقاس والشيخ فضل وأرمنت وهي باقية لغاية الآن وتابعة لشركة السكر

السرايات

وقد بنى اسماعيل في عهده جملة سرايات منها، سراى القبة — سراى عابدين — سراى الاسماعيليه — وثلاث سرايات بالجزيرة — وسراى الجزيرة — وقصر النهضة بشبرا — وسراى المنيرة — وسراى المنيا — وسراى الروضة

واسماعيل باشا بالاجمال، عاش عيشة ترف لم يتيسر لأى ملك ان عاش عيشة نظيرها، إلا سلاطين تركيا، وقد اغدق حسناً كثيرة على الفقراء والمساكين، وأقام منار العلم في مصر، وخدم مصلحة الزراعة أعظم خدمة، ونظم طرق الري بأحسن الوسائل، وبالاجمال فكما كان محمد على باشا هو منشيء عصر الحديث العظيم، كذلك اسماعيل كان مصلحة العظيم، ومبعث خير، لها رحمه الله رحمه واسعة وجمال الجنة مثواه .



سمو الخديوي توفيق باشا

١٨٩٥

في عهد

المغفور له الخديوى توفيق

جلس الخديوى توفيق على كرسي الخديوية المصرية، بعد عزل ابيه وكان متحلياً بأخلاق التواضع والبساطة . بعيداً عن جميع عظمة التظاهر ، يميل بطبيعته للجبر اكسه والاذترائه، وكان محبوباً عند الامة المصرية لشماله الرقيقة وكان في عصره كما كان في عصر ابيه ، تلقى مقادير الحكم على واحد من ثلاثة وزراء وهم رياض باشا وشريف باشا ونوبار باشا ، ولكل منهم مزايا عظيمة لا يجب نخسها . وخدم جليلة قام بها للبلاد يجب الترنم بذكرها ، وفي اعتقادي ان مصر لم توهب رجلا من عهد الخديوى اسماعيل لفاية الآن أقدر وأعظم من هؤلاء الثلاثة ، فرياض باشا كان شغوفاً بحب الوطن لا يعرف المال ، كما شريفامها بآ ، نخشاه الامة عن بكرة ابيها وجميع الوزراء والحكام والاوروبيين كبيراً وصغيراً يعمدون له حسابا حتى كرومر مع عظمتهم وكبر نفوذهم المعروف ، كان يهابه جداً ويتحين الفرص التي يكون رياض فيها منشرح الصدر والخاضع فيحطب ما كان يود طلبة منه . وما نقوله هنا عن رياض باشا ، نقوله بالذات عن شريف باشا ونوبار باشا ، ورياض باشا معروف في جهة مواقف ، فانه في عهد الخديوى اسماعيل حيث كانت تطايط ، رؤوس الامراء والنظار أممه ، وقف في وجهه وحده بخصوص جهة اعمال كان يعتقد أنها في غير مصلحة الوطن . وما فعله مع اسماعيل فعلى اصعافه مع توفيق ، ومنعه من التداخلى في ترشيح المستخدمين . ومن اعطاء الرتب

والنياشين ، ومن أمور كثيرة كان يعتقد أنها ليست في مصلحة الوطن -
وقرر أن يكون ذلك بناء على طلب مجلس النظار ، ورياض باشا ما رقت ولا
عزل من منصبه بأمر الحاكم مطلقاً ، بل هو الذي كان يستقيل من منصبه
مراراً عند ما كانت الأحوال تسير على غير مبدئه ، ماعداً ما حصل في المسألة
العرايية ، ومع ذلك كانت تضطر الحكومة لاستدعائه لاستلام زمامها المرة
بمعد المرة ، وكان هو علاجها الوحيد لحل مشكلاتها ، وإذا أردت أن أعده
الخدم التي قام بها رياض باشا للبلاد ، لاحتاج الحال لمجد مخصوص ولذلك
اكتفيت بالتنويه العام لذكر فضل هذا الرجل العظيم

ولنرجع الآن حديثنا بذكر الخديوي فنقول - قد حصلت في عهده
المسألة العرايية والبعض يسميها « الفتنة العرايية » ولكني اسميها « بالحركة
الوطنية » وأخاف كل الذين يسمونها « فتنة أو عصياناً » أو نحو ذلك
وسأشرح مع الاختصار التام تلك الحركة

كان المبدأ المتبع في عصر لغاية ذلك الوقت ، أن جميع الوظائف تقدم
للاتراك والجرأكسة ، وكل من جاء من البلاد العثمانية سواء كان تركيا
أو جركسياً أو أرثوذكسياً كينما كان من كبيرها لصغيرها ، وكانت تقريباً
في مقام التحريم على أهالي البلاد قاطبة

ظلت هذه الحالة سائرة في عهد جميع الخديويين . ماعداً حالة واحدة ،
تفرض خاص ، قضت برغبة الخديوي اسماعيل لربط ضريبة جديدة ، سميت
ضريبة « للمخابرة » وتستخدم لجبايتها بعض أهالي البلاد ، بوظائف حكام
الاستعمارة بهم على تخصيص تلك الضريبة بعسقة وقتية ، وبعدها عزلوا كما

ذكرنا ذلك في الحوادث التي حدثت في عهد سمو الخديوي اسماعيل — ولكن العسكرية لما كانت من أهالي البلاد، قضت الضرورة اضطراراً أن تعطى بعض وظائف من الوظائف الثانوية لأبنائها، وأما الرؤوس والقواد الكبار كلهم، فكانوا من الترك والجزا كسة، وكان هؤلاء يعاملون معاملة استثنائية في كل شيء وكانوا يعاملون المساكر والضباط الوطنيين بجميع انواع القسوة والاستعباد والتحقير الذي ليس بعده تحقير — فنتج من ذلك انفجار عظيم، وتدمير شديد عند الضباط والمساكر الوطنيين، ترتب عليه جمع كلتهم، والاتفاق فيما بينهم على أن يطالبوا الحكومة بدون تردد بمعاملتهم مثل معاملة الجزا كسة والترك مهما تأتى لهم من ذلك، ولا يرجعون التمهق حتى يتوصلوا لمطالبهم، وعهدوا برئاسة عملهم للامير الای عرابي بك، ولكن قبل الشروع في العمل أخبروا جميع أفراد الجيش بمزمهم، ما عدا القواد الجزا كسة طبعاً وامثالهم، فخل هذا لدى الجميع محل القبول والاستحسان، مزوداً بالوعد ان يكون الجيش رهين إشارة قائمين بأمره، فبعد أن نالوا ثمة الجميع، وتم الاتفاق منهم على ما يرضون شرعوا أولاً في تقديم عربتين احدهما لسمو الخديوي توفيق والثانية لرياض باشا الذي كان وقتها رئيس مجلس المنظر وناصر لما فيه والداخلية والمعارف العمومية — فربما ان كانا معاً من جهة واحدة من جهة واحدة تسريع من المسائل الشاذة، قابل هؤلاء بدية لوفة، ونادى بهم كل الملاحظة، ووعدهم بالنظر فيما يطالبون به صرفوا على وعد أن يعودوا بعد ثلاثة ايام، لاخذ جواب دولته وبعد انصرفهم أخذت الناس تتحدث، حتى هم أنفسهم

عن حلم رياض الكبير ، الذي أظهره خلافاً لعادته في كل المسائل ، ويفسرون ذلك جملة تفسير ، ولكن كلهم ضلوا عن سواء السبيل ، وحقيقة الامر ان رياض باشا عندما وقع نظره على العريضة وما فيها ، قال في نفسه لقد خرج الجيش من يد الحكومة ، وهذا سيكون سبباً لخراب البلاد ، فأراد ان يعالج المسألة بسياسة حكيمة مما يدل على بعد نظره ، بأمل اصلاح الحالة وكسب الجيش للحكومة وكان ذلك متيسراً لولا الدسائس التي طرأت ، كما سيأتي البيان

قلنا ان الوفد الذي رأسه عرابي في تقديم العرايض قدم عريضتين ، احدهما لرياض باشا ، والثانية للخديوي . فعريضة الخديوي لم يقف على أثرها أحد ، والاغلب انها مزقت ورميت في سبت الأوراق المهمة ، واما عريضة رياض باشا فقد حملها دولته وقدمها للخديوي ، وبعد ان تلاها الخديوي بأمان ، وجه الكلام الآتي لرياض باشا فقال : - وهل رياض باشا بكل أهته وتفوده ، تأثر واكثر باقوال هؤلاء ، حتى انه جعل للامر أهمية لدرجة انه هو بنفسه حمل العريضة واتى لي بها ، أنا رأيي يارياض باشا . طرد هؤلاء وعدم الاهتمام بهم

فقال رياض باشا ، مولاي . المسألة ليست مسألة فلاحين ولا ترك ، انما المسألة مسألة الجيش ، وهذا ضاع الجيش من يدك ضاعت البلاد منك فأرجو من افندينا ان يعمم النظر في الامر ويمطيه ما يستحقه من الاهمية ، المسألة كبيرة جداً . وأخشى بسببها صياع البلاد وخرابها

فقال الخديوي - ما انت رياض باشا الذي أعرفه أنا وغيري ، جيش



عراقی باشا

سرافه طاف

ايه وبلاد ايه ، كل هذا يرد في فكرك يا رياض باشا من قبل جماعة مثل هؤلاء ؟ فقال رياض باشا — اني اترك افندينا يفكر في الامر يومين أو ثلاثة وسأعود للحديث معه جديداً وليعلم مولاي ان فكري هو هولا يتغير

وترك رياض باشا الخديوي . وظل الخديوي مصرّاً على فكره . وفي اليوم الثالث حضر الوفد لمنزل رياض باشا وسأله عن الجواب ، فقال رياض باشا ، أنه عرض الأمر على الخديوي ، ووعد بالنظر في المسألة ، وسيمود لمقابلة الخديوي اليوم للبت في الأمر ، وبعد ذلك يفيدهم ، ويتعشم فهو المسألة حسب رغبتهم وأمرهم ، واستعمل معهم اللابن والملاحنة اللذين استعملها معهم في المرة الأولى ، وفعلاً بعد انصرافهم ، توجه لمقابلة الخديوي وحدثه في الأمر فكان جواب الخديوي هو ذات الجواب والكلام الذي قاله في أول الامر ، فقال رياض باشا . لا حل للمسألة يا أفندينا إلا في أحد أمرين ، أما أن أفندينا يجيب طلباتهم ويطيّب خاطرهم . حتى تموت هذه الحركة . وأما إذا كان مصرّاً أصراً على عدم اجابة طلبهم فيأمر بعدامهم . وبدون اجابة احد هذين الطلبين فنحن أمام تهديد كما قلت لا أفندينا نفي بخراب بل ضياع البلاد ، فقال الخديوي ، لا اجيب طلباتهم ولا أمر بعدامهم ، وهم في نظري لا شيء . ولا داعي للاهتمام بهم ، فتركه رياض باشا . وبعد انصراف رياض باشا من المراي ، وصلت اخبار المراي من الثمور بأن رياض باشا حضر عند أفندينا وعرض على سامعه اعدامه هو وورثه الأعداء رعيّاً بالرصاص . فالخديوي رفض وتقرر من هذا الحجاب . فقام وبعد عراقي

لهذا الأمر هو وزملاءه ، وتوجهوا في الحال منزل رياض باشا ، وقالوا له يا باشا استجدنا بدولتكم لتساعدونا على نوال مطالبنا لأننا نطلب اعدامنا، فما هذا الأمر يا باشا ؟ فقال لهم ، كل ما بلغكم من هذا القبيل لا صحة له ، وبني وبين الخديوي موعد اليوم السبت في هذا الأمر ، فطمئناوا خاطرهم واعلموا أنني في جانبكم . فقالوا نشكر الباشا ونحن على كل حال لا نريد موعداً آخر غير هذا اليوم . تنتظر فيه الجواب النهائي ، فقال لهم ، اتعشم ذلك فتركوه وذهبوا — وهو في الحال قم الى السراي واستخدم خدمته المعروفة مع الخديوي ، لأنه اعتمد ، ان سموه هو الذي اوتى اليهم بتلك الاخبار ، وفي أثناء ذلك حضر عثمان رفاي باشا ناظر الحرية فقال — الناظر اندور — المسألة التي نخشاها دولة الرئيس ضعوها على عهدي وأنا الكليل بحلها ، فقال رياض باشا وهو كذلك ، وعلى ذلك وضعت المسألة وحدها بين يدي ناظر الجهادية ، فماذا فعل سمادة الناظر ؟

قام من لدن الجناح الخديوي وتوجه اديوان الحرية ، وكان اذذاك في قدم الليل ، وحلب عرابي وزملاءه : فأجابوا الطلب في الحال ، وتوجهوا الى سمادة . وبمجرد وصولهم اديوان الجهادية : قابلتهم هيئة عسكرية من قبل ناظر الحرية وبادرتهم بالقول « انزعوا سيوفكم وسموها . . . وسموها حتى تنزع منا - سيوفنا ؟ فقبل لهم » هكذا أمر ناظر الحرية « فقالوا أمر ناظر الحرية مطاع ، وخلصوا سيوفهم وسموها فقبل لهم بعد ذلك ، وتمضوا » فقالوا الى اين فقبل لهم (الى السجن) فقالوا وماذا ؟ فقبل لهم (هكذا أمر ناظر الحرية) فقالوا أمره واجب الطاعة

وتوجهوا الى السجن ، ولا تسأل عن الفرح والابتهاج ، الذي دخل على قلب عثمان رفيقي باشا ناظر الحرية ، عندما امكنه التمكن من نزع سيوفهم ووضعهم بالسجن ، ولكن هذا الفرح لم يدم بعض دقائق ، اذ ما وصلت أقدام عرابي وزملاءه سجن الحرية ، حتى حضرت الآليات كالطير السائل من العباسية وخلافها ، بجميع معداتها من ذخيرة ومدافع ونحو ذلك ، وحاصرت نظارة الحرية لتقصد الانتقام ، ونجاة الامير الايات المسجونين . فارتجت لذلك نظارة الحرية رعباً وخوفاً ، وهرب ناظرها بواسطة القاء نفسه من احدى نوافذ النظارة الى نهر النيل ، ولولا هذه الطريقة لما نجت حياته ، ودخل الجيش النظارة ، وحطم أبوابها ، وأخرج الضباط الذين وقعت عليهم الاهانة ، فقادوا الجيش برعامة عرابي الى سراي عابدين ، وحاصروها ووجهوا اليها المدافع ، وطلبوا اما اجابة مطالبهم في الحال ، واما هدم السراي على من فيها ، فما كانت من الخديوي سوى الامتنان والطاعة ، اكل رغائب الجيش ، وكان ضمن طلباته ، عزل الضباط الجراكة والأتراك واستبدالهم بمصريين — وتشكيل مجلس عسكري ضخامة ناظر الحرية مع سجنه رهين التحقيق معه عما وقع منه — وعزل رياض باشا من خدمة الحكومة — تشكيل مجلس نواب بمعنى الكلمة ينظر في شئون البلاد — وتشكيل نظارة مسؤولة امام المجلس المذكور برئاسة شريف باشا . هذه كانت طلباتهم التي طلبوها وهم محاصرين للسراي ، فجيبت جميعها ، وصدرت بها الدكرينات ، في الحال قبل قيام المعسكر والمدافع من ساحة عابدين ، وشرع في تنفيذها باجمعها — وهذه هي المرة الوحيدة التي

عزل فيه رياض باشا من خدمة الحكومة، لانه في كل امرات كان هو الذي يستقيل بنفسه

والرجل ذو فضل عظيم على منساجة البلاد، وقد قصد بعض المؤرخين تشويه سيرته عمداً، وأقصد بالذكر منهم، المرحوم ميخائيل باشا شاروويم، وذلك لحقد في نفسه، بسبب غضب رياض باشا عليه، وعزله من خدمات الحكومة. فكل مقال هذا المؤرخ عن رياض باشا، هو بعيد عن الحقيقة، ومسطور عن غير ليس الا، ومن باب العدل والا نصاب. وذكر الحقائق كما هي، اردت التنويه عن ذلك.

بعد ذلك ابتدا الجيش، أن يسير في جملة اصلاحات. منها تنظيم الجيش المصري، ومنها تشكيل مجلس النواب من أعظم أعيان ومفكرى البلاد، وتعين رئيساً له المرحوم سلطان باشا، وتشكلت نظارة يرأسها شريف باشا وعين فيها عرابي ومحمود باشا البارودي نظاراً، فلم تدم طويلاً وسقطت. واعتمبتها نظارة محمود باشا البارودي ودامت وقتاً من الزمان وسقطت. وكان في أثناء هاتين النظارتين، يسير الجيش بنجد واجتهاد في اصلاح شؤون كثيرة وطنية، وانبجحت الكلمة بعد أن كانت للجرا كسه والسرائى، للجيش الذى صار جيشاً وطنياً بانفنى العميم، والتفت حوله قلوب أهالى البلاد وعنته.

وكانت هذه الحركة، أول حركة وطنية أيقظت أهالى البلاد من سباتهم، وعلمتهم المطالبة بحقوقهم، بعد أن كانوا أذلاء خاضعين. وبعد ذلك شكلت نظارة برئاسة عرابي باشا وبدأت أن تتغالى



محمود سامي باشا البارودي

في الأمور، ودخلت في نفسها الطامع الشخصية، فانتقلت الحركة الوطنية من
لونها الجليل إلى قسوة داخلية.

وفي ذات ليلة، توجه العراقي ومعه كبار الضباط منزل المرحوم
سلطان باشا الذي كان رئيساً لمجلس النواب... وطلبوا منه عقد مجلس في
الحال، فقال لهم الرئيس، أن دور انعقاد المجلس انتهى، وبحسب القانون لا يمكن
جمعه وعقده إلا بذكر توريخديوي إذا كان هناك أمر هام جداً، فما هي
الحالة الهامة التي لا يمكن حتى يمكن أن استعذر ذكر توريخديوي بمقتضى المجلس،
فجرت للباشا في الحال خطاب برتبة بكباشي اسمه عبيد أفندي، وأخرج
سيفه من جرابه وقال: حياة سفي هذا إن تأخر انعقاد المجلس في هذه
الليلة ولم نجب جنابنا لا قطع رقب الحاضرين... فجرت المرحوم سلطان
باشا بهذا الكلام وضحك قائلاً للعراقي، أتمش هذا يا عراقي تحكم مصر،
وأظهر الباشا غضباً عظيماً. فاعتذر العراقي للمرحوم سلطان باشا هو
وكل من معه من الضباط. وأظهروا له الاحترام والاماعة، ووردوا في الحال
من المجلس عبيد أفندي، وأخيراً اختلى سلطان باشا بالعراقي وقال له:
ما قصدكم من اجتماع المجلس؟ فقال العراقي إصدار قرار بختم الخديوي، فقال
له الباشا: وهل الخديوي معين بأمر المجلس أو بقرار من الأمانة المصرية
فقال العراقي: هذا لا يهمنا بل يهمنا أن نواب الأمانة يصدرون قراراً بعده
رحناه عنه ويقررون خفه قتل باشا... هب أننا اتفقت على ذلك فهو
انقمم فيما بينكم نحن سيكون ختماً للخديوي فسكت العراقي. فقال له الباشا:
اجتمعوا بمنزلكم، وقرروا فيما بينكم من تريدون أن يكون خديويًا ودين

ذلك أو اجتمع المجلس وقرر اجابة طلبكم . فيكون قرار الخلع شاملا ، قرار تعيين الخلف ويكون الخديوي الجديد موجودا حاضرا للجلوس على كرسي الخديوية فاستحسن العرابي هذا الرأي ، معتقدا انه لا يمكن احد ان يرشح نفسه سواه للخديوية على ان المرحوم سلطان باشا كان معتقدا كل الاعتقاد ، بعدم نجاح ذلك نظرا للمزاحمة بين جميع ضباط الجيش المصري ، وكل منهم كان يعتقد انه احسن واليق من الآخر ، ولذلك لم يجد سلطان باشا احسن حيلة للتخلص من هذه الورطة ، سوى الفكرة التي ابداهها ، وقد تمت احلامه ، اذ لما عقد العرابي مجاسا بمنزله من الضباط والاعيان ، للنظر في هذه المسألة ، وقع خلاف كبير بين الجميع ورشح كل منهم نفسه ، وعلى الاخص كثير التزاحم . من المرحوم محمود باشا البارودي مستندا على أنه من سلالة سلاطين مصر القدماء . فضاعت بذلك كل أحلام وآمال العرابي ، فصرف المجلس بطريقة لطيفة ، وقصد في الحال للمرحوم سلطان باشا شاكرًا متمنًا لسعادته ، قائلا له لو تم أخذ القرار بخلع الخديوي وأردنا تولية خديوي . منا بعد ذلك ، لوقع بيننا شقاق . ربما كان يؤدي الى مذبحه ، فنحمد الله على وقوفنا عند هذا الحد ، فانسر سلطان باشا سرورا عظيما لخلاصه من ورطة ليس من اختصاص المجلس النظر فيها من جهة ، ولنجاحه فيما دبره من جهة أخرى ، على أن هذا لم يمنع العرابي ولا زملاءه من تفانيهم في المضامع ، واستحوادهم على كل نفوذ وسلطة في جميع المعالح والأعمال ، مما قلب كيان الحركة الوطنية النافعة ، الى فوضى وخال عام . وخاف الخديوي على حياته وعرشه ، فقام للاسكندرية واستنجد

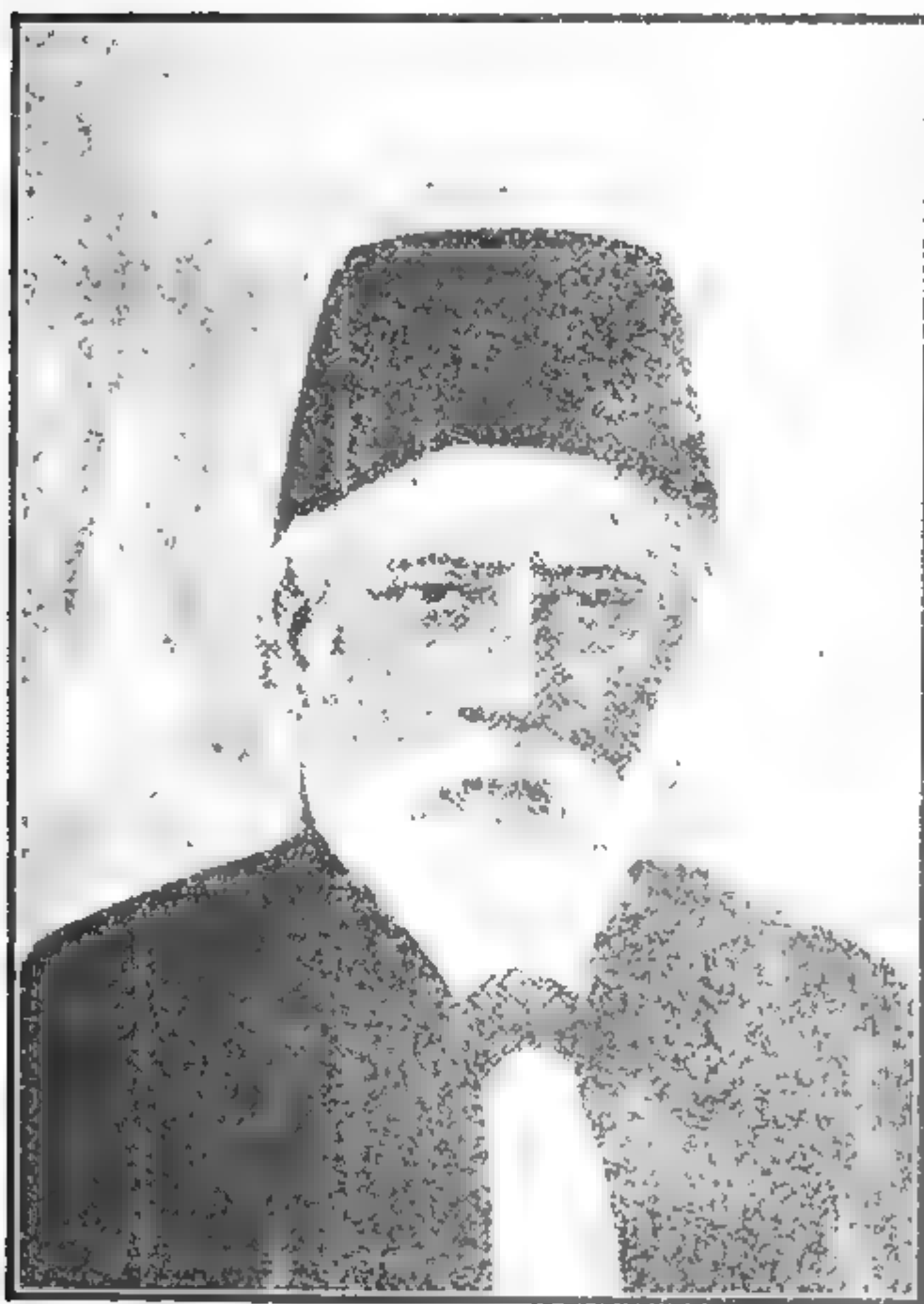
بدولة بريطانيا، فلما علم بذلك العراقي أعلن خيانة الخديوي للبلاد، ولم يعتبر
النظارة القائمة بأمر الخديوي أنها ممثلة للحكومة المصرية، بل أنها نظارة تمثل
الخديوية، وشكل نظارة بأمره، وعزل كثيرين من المديرين والحكام. وولى
بدلاً عنهم أشخاصاً من الموالين له، وتخذ كل ذلك بقوة الجيش، وأصبحت
النظارة مشغولة بالأيدي لا بعمل لها. واستمر عراقي يدير الحركة العامة
كخديوي مطلق الحرية إلى أن دخلت الانكيز. وكانت قد عرضت
على فرنسا الاشتراك معها في العمل لقمع هذه التفتنة، وتوطيد أركان
الامن في البلاد فرفضت فرنسا عن ذلك. إسان المسيودي فريسييه وزيرها وقتها،
وكان لرفضها هذا فرحاً وسروراً لدى الانكيز لأنهم وإن كانوا اضطروا
إعرض الأمر عليها، بالنسبة لاشتراك مصالح الدولتين، إلا أنهم لم يصرحوا
أن في الحقيقة كانت الدولة البريطانية تؤيد من صميم قواها الانفراد بالعمل،
وتم لها ما كانت تتمناه، على أن فرنسا رجعت فندمت ندماً شديداً ولكن
ليت حين مناص، لأن الأمر كان قد مضى وقضى الأمر، ودخل الانكيز
مصر، واحتل جيشهم البلاد، وقبضوا على عراقي وزملاءه وسجنوهم
وعمل معهم تحقيقاً، وحكم عليهم بالإعدام، وأمدل الحكم بالنفي إلى سيلان
مما شرحه المؤرخون والكتاب كما هو معلوم

وكان الخديوي عند دخول الانكيز مصر وقفاً منهم على هذه التفتنة،
كان مقيماً بسرأي رأس التين بالإسكندرية، فلم يرغب الدخول بمدينة
القاهرة إلا بعد أن يعود إليها رونقها ونظامها، الذي أفسده المراهيون في آخر
عهدهم، حيث جعلوها كقلعة حرب، وكستشقي مرضى الحرب، مما شوه

منظرها، وأزال بهجتها، فعين المرحوم سلطان باشا نائب خديوى، يقيم بمصر
لأصلاح ما فسد فيها، مع قيامه بجميع شؤون الحكومة حين ما تشكل
نظارة تسلم زمام الانحال، وفعلا تم ذلك الى أن استدعى رياض باشا من
أوروبا وشريف باشا، وتشكلت نظارة برئاسة شريف باشا، وجعل رياض باشا
فيها وزيرا للداخلية، ودخل الخديوى على يدها مصر معززا مكرما
شاكرًا لما قام به سلطان باشا من الاعمال

وقد وضع نظام تسير عليه البلاد المصريه بإشارة من دولة بريطانيا،
كلف بوضعه المسيو دفرين باشتر المرحوم شريف باشا، وكان الخارص
الأمين على هذا النظام وتنفيذه، ذلك الرجل العظيم، المقتدر العادل، اللورد
كرومر، فانه والحق يقال، كان حكيما، وحارسا أمينًا، وقاضيا عادلا، ومنظما
حكيمًا، شديد البطش عند الحاجة، وديعا في موضع الوداعة والمطافة، وقم
بخدمة خدمات عظيمة للبلاد وأهلها، وحمى الضعيف من القوى، ودافع عن
حقوق المساكين الذين لا سند لهم، مما خلده ذكرًا لا يمحي ولا ينسى،
عند مصر والمصريين

وبهذه المناسبة قد عزانا ابن العرابي، أعمال المرحوم سلطان باشا غير
صحيحة، فعلى سبيل الاختصار وعدم التطويل، في الشرح والبيان، نمكتفي
بنشر ما سبق نشره منا على صفحات الجرائد، رداً على ما نشره في حق
المرحوم سلطان باشا



محمد ساجان باشا

المرحوم سلطان باشا (١) والمرحوم عراي باشا

للحقيقة والتاريخ

قرأت في جريدة المحروسة الغراء الصادرة في يوم الاربعاء ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٣ مقالا بأعضاء حضرة عبد السميع بك عراي لا تعرض لشيء مما جاء فيه سوى المسألة الخاصة بالمرحوم سلطان باشا ذكر حضرة صاحب الرسالة ، انه كان لا يود أن تمتع أممه مسألة مؤمنة ، كالمسألة الخاصة بالمرحوم سلطان باشا ، ولكن اضطره المقام بأن يذكر معلوماته فيها ، فقال بطريق الاجمال ، ان سلطان باشا كان من رؤساء الحركة الوطنية ، وكان يظن انه يستطيع بمواهب عراي وقوة الجيش . الحصول على رئاسة البرلمان ، ومن ثم تتم له زعامة الحزب الوطني . بما له من مميزات الغنى والجاه ، فأيد عراي في جميع الاحوال ، الى ان فازت الامة بالمجلس النيابي ولكنه لما رأى ان الامة تتحدث باسم عراي . بكل إعجاب وثناء ، تسرب الحسد الى نفسه ، ولما تشككت وزارة محمود باشا سامي ، كان يطمع أن يكون فيها وزيرا ، فلم يتحقق أمله ، وعلى ذلك أخذ سلطان باشا . بعض أعضاء مجلس النواب وغيرهم . وينفروا من عراي ويفرهم بالتخفى عنه ، ولكنه لم يفر . لأن

(١) هذه الرسالة نشرت بجريدة المفطم الغراء بالعدد ١٠٥٦٠ الصادر بتاريخ

٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٣

الامة بكل طبقاتها كانت في جانب عرابي باشا الى النهاية الى آخر ما جاء
برسالة عبد السميع بك في هذا الشأن

فاستسمح حضرة عبد السميع بك العرابي، بأن أعلم حضرة، أن كل
ما ذكره عن المرحوم سلطان باشا في هذا الصدد، لا يطابق الواقع، وقبل أن
أقدم الأدلة على صحة ما أقول، اذكر للجمهور أولاً الأسباب التي دعت
لقيام الحركة العرابية فأقول: —

ان منشأ الحركة العرابية كانت مسبباً عن الظلم والجور، اللذين
لحقا بضباط الجيش المصريين، من الاتراك والجرأكسة، حيث كان في ذلك
الوقت، يوجد شبه احتلال تركي جر كسي للبلاد عمومًا، وكان مسيطراً على
جميع المصالح العسكرية والملكية، بحيث كان لا يسمح لأي ضابط مصري،
مهما كانت مواهبه. أن يتعدى رتبة اميرالاي، فأوجب هذا تدمير الضباط
المصريين، مما ترتب عليه قيامهم وتعاهدهم بعضهم مع بعض، على القيام بحركة
مهما كانت نتيجتها، ضد هذا الاحتلال التركي الجر كسي، هذا هو الأساس
الذي قامت من اجله الحركة العرابية. وما كان البروجرام المعمول لها، يشمل
أيضاً طهارة المصالح الملكية من الموظفين الاتراك والجرأكسة. انضم اليهم
كثير من اعيان البلاد وكبرائها، وأخذ بنصرهم المرحوم سلطان باشا بما كان
له من النفوذ الكبير والسلطة العالية. وانا كنت من الملازمين للمرحوم
سلطان باشا في جميع ادوار الحركة العرابية، كما انني كنت صديقاً حميلاً للمرحوم
عرابي باشا وكثيرين من الضباط العظام، الذين اشتركوا معي في هذه الحركة
الوطنية — وأني أريد في هذا المقام. أن أذكر وفائع تاريخية حضرتها بنفسى

وهي مطابقة للواقع، مجردة عن كل غرض وغاية، المهم ألا خدمة الحقيقة والتاريخ أنا لا أنكر أن عرابي باشا قام في بدء الحركة الوطنية، بخدمات عظيمة جداً تعبر عن اخلاص تام للوطن وتشرف القائمين بها. هكذا كان مبدأ الحركة وهكذا نظر الجميع إليها، ولكن حصل رد فعل تسبب عن سكرة النجاح الباهر، مما أدى إلى التفوضى والتفشل كما سيأتي بيانه

وقبل أن أتكلم رداً على الأقول الخاصة بالمرحوم سلطان باشا، أذكر أولاً مركز سلطان باشا الأدبي من حيث هو

فسلطان باشا كان يشغل مركز حاكم "تعميد العالم" تخضع لأوامره كل حكام الأقاليم القبلية، وعمد ثلاث "بلاد وأعيانها وأهاليها" خضوعاً تاماً، وكان ذا جاه عريض جداً وسلطة واسعة، فمن هذا يعلم أنه لم يكن في احتياج إلى جاه غيره ليتوصل إلى مركز عال. ولما بدأت الحركة العراقية ورأى من مبادئها خدمة البلاد، انضم إليها بكل ثبوذه، وعندها بكل قواه، لا حباً بوظيفة - لأنه كان يشغل أعظم المراكز - بل حباً بخدمة البلاد التي كان يتفانى في خدمتها، واستفلاها استقلالاً تاماً من سيطرة الأتراك.

هذا مادعاه إلى الانضمام إلى الحركة العراقية. لا كما يقول حضرة صاحب الرسالة، أنه كان يقصد الحصول على رئاسة مجلس برلمان. لأنني أجب سلطان باشا عن هذا الأمر تماماً، ومن عرف سلطان باشا كما عرفته أنا، يعلم أنه كان الرجل الوطني الصميم الذي خدم بلاده أجب الخدم. بل ربما لم يوجد مصري خدم بلاده مثله.

وعندما ألف البرلمان، انتخبته أمانة رئيساً له، ولا يعقل أن الذي يتقدم

وظيفة رئيس البرلمان ، يطمع في أن يكون وزيراً في وزارة محمود باشا سامي ، كما يقول حضرة صاحب الرسالة ، لأن وظيفة رئيس البرلمان فوق وظيفة رئيس الوزراء ، وقول عبد السميع بك نفسه أن سلطان باشا ، كان صاحب سلطان وتنفوذ وجاه ، ينفي قوله أنه أراد أن يستعين بتنفيذ وجه العرايين للحصول على وظيفة وزير ، لأن تنفذه كان عالياً وعالياً جداً إلى النهاية بحسب مركزه الأدبي ، والمراكز الحكومية التي شغلها .

وبعد أن اتجهت أنظار العرايين ، إلى محاربة الجراكسة والأتراك واستقامتهم . وباتعمل حصلوا على ذلك وعلى أكثر منه . إذ أمكنهم بقوة الجيش الحصول على تأليف برلمان وسن عدة قوانين لمصلحة البلاد — وبعد ذلك اتجهت أفكارهم إلى محاربة الخديوي شخصياً . وطمحت ابصارهم إلى الاستيلاء على العرش ، واذكر اني كنت مع المرحوم سلطان باشا في سرايه ذات يوم ، واذا عرابي باشا قد حضر ومعه عدة ضباط من الجيش وطلبوا منه عقد البرلمان في الحال ، فقال ان مدة انعقاد البرلمان انقضت والقانون يقضي انه اذا حدث أمر خطير ، يستوجب انعقاد البرلمان بطريقة استثنائية ، يلزم استصدار أمر عال بذلك ، فخبروني ما هو الأمر المهم الذي حدث حتى يستوجب عقد البرلمان ؟ فكان جوابهم بشدة وعنف بل بتحكم ، ليس هناك داع لصدور أمر عال بانعقاد البرلمان ، بل يجب عقده بناء على طلبنا في الحال ، فقال وما هو الموضوع الذي تريدون أن تتكلموا فيه فقاموا ، عزل الخديوي ، فقال لهم ، وهل الخديوي تعين بامر البرلمان المصري حتى يقرر عزله ؟ فقاموا لا يريد أن نسمع مناقشة بل نريد ان نفعل ما نشاء .

فقال لهم وهل رشحتم . من يخلفه حتى يكون قرار البرلمان بالعزل شاملاً لتعيين الخلف ؟ وكان عرابي ينتظر من الجميع أن يقولوا أن الخلف عرابي ، ولكن لم ينطق أحد منهم بذلك بل بعد أن تداولوا فيما بينهم ، قالوا أننا نؤجل البت في ذلك إلى الغد . وفي هذه الليلة نقرر من يكون الخلف وحتى ذلك تأجل انعقاد البرلمان إلى اليوم التالي ، حتى يتم الأمر بينهم على اختيار من يريدون ، وانصرفوا من سراي سلطان باشا على هذا الوجه ، وقعدوا منزل عرابي باشا ، وعقدوا اجتماعاً في منزله من جميع الضباط المعطاء ، للمداولة في من يكون خلفاً للخديوي ، فاشتد تنهرج بينهم في تلك الليلة ، فقال المرحوم محمود باشا - نبي البارودي ، اني أنا اولى بالملك . لاني من سلالة ملوك . وقال عرابي باشا ، ولكنني رئيس الحركة الوطنية وموجد لها ، وفل آخرون غير ذلك ، اني أن قل المرحوم ضربه عصمت باشا « لكل منا اعمال عظيمة في هذه الحركة ، فيجب ان نعامل كلنا بالسواء ، بلا تمييز واحد على الآخر ، فيحسن أن نجعل كل مديرية خديوية ، قائمة بنفسها ، وكل من يكون خديويها لها » . حينذاك رئس عرابي باشا واستحسن من البعض ان تبقى الحالة كما هي عليه الآن . ويبقى الخديوي في مركزه إلى فرجة أخرى ، وبعد ذلك توجه عرابي باشا إلى سراي المرحوم سلطان باشا ، وشكر سعاده على نظره البعيد ، وعدم تسرعه باجابة ضيقهم ، اذ لو اجاب لطلب خدمت معركة دموية بينهم بسبب النزاحم على مركز الخديوية .

نظر سلطان باشا إلى كل هذه الاحوال . ورأى ان الخدمة التي كان ينتظر تأديتها للبلاد من عرابيين ، ضربة عكسية . حيث تحركت نظام

فقال لهم وهل رشحتم . من يخلفه حتى يكون قرار البرلمان بالعزل شاملاً لتعيين الخلف ؟ وكان عرابي ينتظر من الجميع أن يقولوا أن الخلف عرابي ، ولكن لم ينطق أحد منهم بذلك بل بعد أن تداولوا فيما بينهم ، قالوا أننا نؤجل البت في ذلك إلى الغد . وفي هذه الليلة نقرر من يكون الخلف وحتى ذلك تأجل انعقاد البرلمان إلى اليوم التالي ، حتى يتم الأمر بينهم على اختيار من يريدون ، وانصرفوا من سراي سلطان باشا على هذا الوجه ، وقعدوا منزل عرابي باشا ، وعقدوا اجتماعاً في منزله من جميع الضباط المعطاء ، للمداولة في من يكون خلفاً للخديوي ، فاشتد تنهرج بينهم في تلك الليلة ، فقال المرحوم محمود باشا - نبي البارودي ، اني أنا اولى بالملك . لاني من سلالة ملوك . وقال عرابي باشا ، ولكني رئيس الحركة الوطنية وموجد لها ، وفل آخرون غير ذلك ، اني أن قل المرحوم ضربه عصمت باشا « لكل منا اعمال عظيمة في هذه الحركة ، فيجب ان نعامل كلنا بالسواء ، بلا تمييز واحد على الآخر ، فيحسن أن نجعل كل مديرية خديوية ، قائمة بنفسها ، وكل من يكون خديويها لها » . حينذاك رئس عرابي باشا واستحسن من البعض ان تبقى الحالة كما هي عليه الآن . ويبقى الخديوي في مركزه إلى فرجة أخرى ، وبعد ذلك توجه عرابي باشا إلى سراي المرحوم سلطان باشا ، وشكر سعاده على نظره البعيد ، وعدم تسرعه باجابة ضيقهم ، اذ لو اجاب لطلب خدمت معركة دموية بينهم بسبب النزاحم على مركز الخديوية .

نظر سلطان باشا إلى كل هذه الاحوال . ورأى ان الخدمة التي كان ينتظر تأديتها للبلاد من عرابيين ، ضربة عكسية . حيث تحركت نظام

الشخصية في نفوسهم ، فقال لهم اما الآن وقد تحصلنا على دستور للبلاد
ووضعنا قواعدا اساسية لسير الاحكام فيحسن بالجيش المصري ان يقف عندهذا
الحد لأن الاجانب قلقون جداً من العسكرية الدائمة ، فلم يرق هذا القول
للعرايين ، وعدوه خيانة من المرحوم سلطان باشا ، ولم يلبوا بنصيحته ، بل
ظلوا مستمرين على تهديد العرش ، مما استوجب مخاوف الخديوي ، فاستغاث
بأوروبا ، لتساعده على خلاص عرشه من التهديد ، والبلاد من الفوضى
فلبت دعواه فرنسا وانجلترا ، وأخيراً أخذت فرنسا وانجلترا
فأما علم بذلك العرايون ، وضعوا البلاد تحت الاحكام العسكرية ، وفرضوا
عليها تموين الجيش من غلات ومواشي وكل ما يلزم له بما ازعج البلاد ازعاجاً
كبيراً واستولوا على جميع مراكز الحكومة وصاروا يعززون ويولون
الحكام من مديريين ومحافظين وغيرهم بمعرفتهم ، وكانت الاوامر التي تصدر
بهذه الاجراءات يذكر فيها ، ان هذا بناء على امر حامي حامي الديار المصرية
افنديا امراي باشا . وفي هذه الاثناء ، اعلن أن البلاد في حالة حرب مع
المملكة الانجليزية . وعند حضور الاسطول الانجليزي وعساكره
وقيامهم بمواجهة العرايين ، انعقد مجلس عال بالاسكندرية تحت رئاسة الخديوي
وقرر أن يقوه المرحوم سلطان باشا الذي كان حينئذ بمعية الخديوي مصر
ليتولى زمام الاحكام بالصلاح ، بالنيابة عن الخديوي عند وصول جيش
الانكليز الى مصر ، وكان ينتظر ان يكون ذلك سريعاً حتى لا يكون
مركز البلاد خالياً من تمثيل الجناح العالي ، وعند ما شمر العرايين بذلك
امر مدير المنيا ، وهو حينئذ اسماعيل بك القيسي ، بأن يأخذ كل مملوكات

سلطان باشا من غلال وخيل ونحوها، ويرسلها الى مخازن العيش، ويختم منزل سلطان باشا بانسيا بالشمع الأحمر، حتى ينظر في امره، وحصل ذلك فعلا وكل هذا كان بسبب نخلي المرحوم سلطان باشا عنهم، للاسباب التي ذكرت وعند دخول الانكليز الى مصر، اراد سلطان باشا ان يتحقق الى اى حد ترى المقاصد الانكليزية بخفوره، فأكد الجنرال ولسلي قائد الحملة وجناب السرمات وكيل "دولة الانجليزية حينئذ، أن مهمتهم هي اتحاد الفتنة العراقية، وحفظ العرش من التهديد، وبانتهاء ذلك تكون مهمتهم قد انتهت، وينصرفون الى بلادهم. "ادوا هذا المرحوم سلطان باشا الذي كان شغوقا بحب وطنه، واثقما من سيطرة الانكليز عليه، لانه ليس من المعقول أن سلطان باشا يحارب الاحتلال التركي، الذي في نظره كابوس على "بلاد، ويسعى للاستعاضة عنه بالاحتلال الانكليزي

هذه هي الوقائع التاريخية بحقيقة ما حصل حسب تذكره، وجهة القول ان كل "لهم التي نسبت الى المرحوم سلطان باشا، سواء كان بما سطره حضرة عبد اسميع باشا "عرايبي أو غيره، لا يخفى في صفات المرحوم سلطان باشا واعماله، لانه كان رجلا وطنيا صديقا شغوقا بحب المصالح العامة، قريب في جميع تصرفاته، عالي النفس، كريم الاخلاق، شهي همما، قل أن نجد البلاد نظيره

فلاحقيقة والتاريخ، وقياما بمبدأ صداقة التي كانت تربطني بالمرحوم سلطان باشا، رأيت من الواجب على اعلان "وقائع تاريخية كما حصلت في

قلبي فلهي

للحقيقة والتاريخ (١)

المرحوم سلطان باشا والمرحوم عرابي باشا

قرأت ما نشره حضرة عبد السميع بك عرابي ، رداً على كلمتي التي توخيت بها تبرئة المرحوم سلطان باشا ، مما نسب اليه من التهم البعيدة عن الحقيقة ، والتي ينسبها على حقائق شهدتها بنفسي ، فليت حضرة عبد السميع بك ، قصر رده على المسائل الخاصة بالمرحوم سلطان باشا ، ولكنه وسع نطاق البحث بما نشره بجريدة المقطم الغراء في يومي الاربعاء والخميس الماضيين ، توسيعاً اضطرني الى استئناف الاجابة على أقواله ، ومن باب الاستطراد الى ذكر وقائع شتى تتعلق بالمسائل العراقية وهو ما كنت أود بقاءه مطوياً في غرارة فاستميت عبد السميع بك العذر عما الجأني الى المكاشفة به ، واشكر له في آن واحد وفاءه لأبيه العظيم لأن الابناء البررة تظهر ثمرة آدابهم وعلمهم صفاتهم بحفظ كرامة منجبتهم

أذكر هذا وأنا مقتنع ، ان الحركة العراقية كما قلت قبلاً ، كانت في مبدأها حركة وطنية محضة ، ترمي الى الخدمة العامة ، ولكن بين عشية وضحاها ، انقلبت الى فتنة أقامت الامة واقعدتها ، ولو دامت شهراً واحداً بعد دخول الانكليز مصر ، لقفزت على البلاد قضاء تاماً ، ذلك لان الرجل قد أحاطت به قوة من الصباط ، أصبح لا قبل له بها فما لبثت ان افسدت

(١) هذه الرسالة نشرت بجريدة المقطم الغراء بالمعدد ١٠٥٧٢ الصادر بتاريخ

١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣

عليه اصبح نيابة . وكان من نتائج اضطرابه نطاوعها مدهو معلوم ، فمع
شكري لحضرة عبد السميع بك لذوده عن والده ، لأجد بداً من القول
ان الدفع الشريف ، لا يترتب عليه اتهام الأبرياء بتهم لا حقيقة لها ، خصوصاً
إذا كانوا من عظماء الرجال العاملين ، الذين تنافوا في خدمة الوطن كسلطان
باشا . على انني أجدني في غنى عن الشرح الطويل ، في ردي على حضرة
عبد السميع بك ، لأن من يقرأ أقواله يجد في أول نغمة منها شيئاً لما أذكره ،
وفي آخرها تأييداً أو تصديقاً له ، مثال ذلك ، انني لما أخذته بقوله « ان
سلطان باشا كان يظن انه يستعين بمواهب عراقي باشا وقوة الجيش للحصول
على رئاسة البرلمان ومن ثم تتم له زعامة الحزب الوطني بماله من مميزات
الغنى والجاه » قل في آخر هذه الجملة انه يقصد بمبارته هذه « ان سلطان
باشا من رؤساء الحركة الوطنية وكان يظن انه يستعين بمواهب عراقي وقوة
الجيش للوصول الى البرلمان » فلانكار والاثبات بجملة واحدة تناقض
غريب أراد به ادحاض حجتى فما زادها إلا تعزيزاً

أما اذا تعذر الجواب على حضرة عبد السميع بك ، فإليك مثلاً
من اجابته المفحمة . نقل حضرته قولي « ان العراقيين اتجهت أفكارهم
بعد حصولهم على حائز من القوائم الى محاربة الخديوي شخصياً وضحت
أبصارهم الى الأسلاك ، على « العرش » فأحب عليه ما نصه ، هل هذا كلام
معتول وهل في هذا القول خدمة للحقيقة »

استمر حضرة عبد السميع بك على نحوه هذا من المحاوره ، الى ان
قال « لما نزلت الجنود الانجليزية أرض الاسكندرية وتقاتلوا مع الخديوي

والنظار أصبح استمرار عرابي في دءاعه غير مرغوب فيه، بل اعتبر عصياناً وتمرداً، ولكن الأمة التي يعينها الأمر مباشرة، قررت في أشخاص الهيئة التي اجتمعت في مصر لإدارة شؤون البلاد مؤقتاً « أعني بعد أن أعلن الخديوي عصيانهم وتمردهم » وجوب الاستمرار في الدفاع عن البلاد وهي التي لقت عرابي باشا بحامي حى الديار المصرية

ففي صدر الجملة يقول، هل يعقل أن العرايين يحاربون الخديوي، وفي آخرها يذكر أن الأمة هي التي قررت الدفاع عن الوطن بالطريقة التي نظرها العرايون رغم إعلان الخديوي عصيانهم، أي بعد هذا في عرف عبد السميع بك طاعة وإخلاصاً للخديوي وتفتانياً في حب العرش، وهل قيام وزارة سامي باشا بالأمر في البلاد في نفس الوقت الذي ألف فيه الخديوي وزارة راغب باشا باعتبار أن وزارة العرابي خارجة عليه، يسمى طاعة وإخلاصاً؟ وهل استيلاؤهم على البلاد ومصالح الحكومة، وتجاهلهم وجود الخديوي وحكومته، وقيامهم بشؤون الأمة مباشرة يدعى طاعة وإخلاصاً؟ تترك لحضرة الجواب على ذلك، ونسأله سؤالاً آخر — ماذا كان العرايون يقصدون من استحضار الجيش بأكمله واحاطتهم بسراي عابدين بالدفاع ومعدات الحصار؟

نحن لا نروي رواية عن رقتل بل نذكر وقائع حضرناها شخصياً واعتقد أن حضرة عبد السميع بك، لم يكن حاضراً في ذلك العهد، فمن هذه الوجهة له العذر. نحن نصف مشهودات شهدناها، وحضرته يروي روايات سمعها أو ينقل عن أوراق وجدها، والفرق ظاهر بين الحالتين

انا ما زلت اقول — وأقول بحق لا لغرض في النفس — ان المرحوم سلطان باشا ارفع واعلى مما نسب اليه، وكل من اهل القطر المصري والسوداني يعرف ذلك عنه، وقد حصر بيته وختم بالشمع الاحمر، بعد ان نهبت مقتنياته وكاد الرجل يرد موارد التهلكة غير متردد في مبدئه على كونه لو جرى المرايين لاحرز المقام الذي يريده بينهم، ألم يسمع حضرة عبد السميع بك بشيء من ذلك؟ وهل اتاه حديث المرحوم شاكر باشا مدير المنياء، وغيره من حكام الاقاليم اللذين أخذوا بأمر المرايين في سلاسل من حديد، مخفورين بقوة الجيش وسجنوا بالطونخانة لانهم نصعدوا أولئك السادة بالاعتدال لا لذنوب آخر، فنانا لم نجد لذكرى هذه الاحوال اثر أبقلم حضرة عبد السميع بك، ثم اننى ما زلت أكرر ان مطمع المرايين في العرش لاشك فيه، وانه لم يتنهم عنه سوى التنافس بينهم والاختلاف فيمن يشغل هذا المركز، حتى انه في اليوم الذي تلا مداولتهم هذه . لتقرير من يتولى العرش منهم، انتشر خبر عم مدينة المحروسة، وجرى على الاسنة في أثره ان السيدات نساء المرايين اجتمعن وتوازعن فيما بينهن سرايات البيت المالك، ووقع الخيار على سراي القبة وسراي عابدين للمرايين . أقول وأؤكد ان المرايين صمموا على عزل الخديوي وسعوا لذلك بكل الوسائل ولولا حكمة المرحوم سلطان باشا وبعد نظره، واستخدامه دهاءه، لحلمهم على انتخاب خديوي منهم قبل عزل الخديوي القائم ومثد حتى يكون قرار مجلس النواب بانعزل ساملا المونية، نوذا ذلك . جنسوا يوم وجورثما سلطان باشا على قرار من البرلمان بعزل الخديوي، وناهبت بما يترتب على

ذلك من الفوضى في البلاد، واستعباد مخلوقات الله وتحملهم فوق ما تحملوا من اجراءات تلك الطغمة

اما قول عبد السميع بك « ان وزارة شريف باشا استقالت وجاءت بعدها وزارة محمود سامي باشا التي نزلت على ارادة الامة وكانت هي اول وزارة وطنية حرة وفرحت بها البلاد وجاءت لها الوفود من الوجهاء والاعيان لتهنئتها » فتقول فيه مغزى لا تختص على اللبيب . مغزى قريب من الصراحة يراد به ان وزارة شريف باشا التي اتى فيها الجناب الخديوي بعيدة عن سيطرة العراقيين كانت وزارة غير وطنية وغير مخصصة للبلاد ولذلك سقطت بقوة العراقي واتت من بعدها وزارة عراقية مخصصة تعبر عن الاماني القومية والاخلاص للبلاد . أجل هو قول فيه معان واسعة كبيرة من يقرأ بين السطور اقل ما يفهم منها ان الخديوي كان عدواً للبلاد ومحارباً للوطنيين فيها

ليخبرنا حضرته ان صح انه لا يكن هناك ارهاباً ولا تهديداً من العراقيين للعرش ، ماذا اوفد الباب العالي درويش باشا مصر؟
ومما يجمل ذكره هنا المقراء ، ان استعفاء وزارة شريف باشا لم يكن للاسباب التي ذكرها حضرة عبد السميع بك ، وانما السبب الحقيقي هو ان البرلمان عندما عقد جلسته الاولى ، كان من أول اعماله النظر في الميزانية ، الحكومة التي كان يرأسها المرحوم شريف باشا اذ ذاك . رفضت تلك المطالب فبنى على ذلك انتداب وفد من النواب لمقابلة شريف باشا فاستقبلهم بمشاشته المعروضة ، وهو راحل رفيع الجاه عظيم التقدير على النفس وبمدرود

بكلام الجفاء والغلظة ، ولما كانت آداب الرجل لا تتفق مع هذا الاخلاق ، استقلال في الحال ، وهذا ما كان المرابيون يودون الوصول اليه ، لتأليف وزارة خمسة منهم حتى يجمعوا بين قوة الحكيم وقوة الجيش

يمون حمزة عبد السمیع بك . ان الدول الاجنبية كانت ندس بين عرابي باشا وبين الخديوي مع ان المعروف ان البارون دي رنج وكيل دولة فرنسا في ذلك الحين ، كان يعتقد في مبدأ تلك الحركة انها ترمي الى الاستقلال والحرية التي هي من مبادئه ، فشجع المرابين كثيرا في أوائل امرهم وكان سندا قويا لهم

ولكن لما ظهر له كما ظهر لمرحوم سلطان باشا ان الامور انعكست ويخشى من خراب البلاد وهدم العرش ، انضم الى نائب إنجلترا وطالب من الخديوي ابعاد عرابي وجماعته عن مصر حتى تهدأ البلاد وتحل "عثمانية محل الاضراب . وأشار لمرحوم سلطان باشا على عرابي باشا وقتئذ بان يخرج متنزها الى أوروبا ولو شهرين أو أكثر حتى لا تنفقد البلاد موصلة اليه . فرفض هو وزملاؤه وعدوا سلطان باشا خائنا ، ولم يسمعوا انصائح الخديوي وظلوا لاجئين الى قوة الجيش الذي كان يخرسهم وعمهوا تحسينات قوية جمعوا مراكزهم فيها الى أن حضر الجيش الانكليزي . وهنا استفهام أطلب الجواب عليه من عبد السمیع بك هل يستطيع ان يخبرنا لماذا لم يواجه عرابي وجيشه الانكليز بالقتال كبير وهم بغتة هو ومن معه الى مصر وأدركه الانكليز فيها و كان ما كان ؟.....

مصاف الى ما نعلم ، كثير من نصرة المرابين واتخذ الله امره

التي أذكر منها على سبيل التمثيل واحدة مرت بي : فقد صدرت الى من
الهيئة العرايية يوم تسلمها مصالح الحكومة ، بعد اعلان العصيان ، وكنت اذ
ذاك ، وكيلًا لعموم جفالك الدائرة السنية — ثلاثة أوامر في يوم واحد :
الامر الاول ضرورة قلع جميع الاشجار من أراضي الدائرة وتكسيرها
خشبًا وارسالها لمطابخ الجيش في أربعة وعشرين ساعة : الامر الثاني ارسال
مافي مخازن الدائرة السنية من خمومات وتبونات وعسل وسكر ونحو ذلك
في مدة لا تزيد عن أربعة وعشرين ساعة الى مخازن الجيش : الامر الثالث خلع
جميع اسلاك التلفراف الخاص بالدائرة السنية وشكك الحديد الضيقة التابعة
لها وشحن ذلك في أربعة وعشرين ساعة الى مخازن الجيش فهل . كان
غير الله قادراً على تمام هذه المهرقات ؟ تلك أيام سود نسأل الله ان لا
يعيدها . جرى فيها ماجري من التلف والدمار وانتهت باكبر الفواجع
الحربية المخجلة — لقد لاح لي أن عبد السمیع بك يترنم بذكر الايام
العرايية ترنم التباهي فيسمح لنا ان لا نجدها محلاً للتبجح والافتخار

قلت في المقدمة ، اني كنت أود لو لم تتمتع هذه المسألة ، ذلك لانها محزنة .
أقول ما يقال فيها انها جاءت سبباً لخراب البلاد وضیاع کيانها ، لافي ذلك
الوقت وحده — ذلك الوقت الذي نهب فيه ما نهب للجيش أو باسمه من
موجودات الامة غلالاً وخيولاً وجمالاً وحميراً وكابد فيه الناس الوان
العذاب وصوف الذل والارهاق — بل اني هذا الزمن الذي مرأت البلاد
فيه راحة نحب حکم الكوارث مما حل بها على أثر تلك الفتنة المشؤومة .

هذه الوقائع كنا نود أن لا تعرض لها ، ولكننا اضطررنا لذكرها
تأييداً لحججنا وخدمة للحقيقة والتاريخ مجردة عن كل غرض وغاية .
هذه كلمتي ختاماً لتلك الذكريات وليس من رأى كمن سمع ما
قلبنى فسرهمى

وكان في عهد الخديوي توفيق مشاعاً شيوعاً تماماً زواج الجوارى البيض
الذين تركهم آبيه الخديوي اسماعيل عند تركه عرش مصر — بسريره
وسراى والدته لبعض ذوات مصر ، كما كانت تلك العادة متبعة وشائعة في
عهد والده الخديوي اسماعيل ، وكان من حظ الذين يتزوجون بهؤلاء
الجوارى ، الالتفات السائى والانعام عليهم بالمعاطيا والمهدايا ، وكان المقرر
ان كل جارية تتزوج تقوم السراى بجهازها من ملابس وحلى وينعم عليها
بإعبادية مساحتها خمسمائة فدان تعيش من ريعها ومسكن تسكن فيه وعربة
يجرها زوج من الجياد الصافيات ، وزوجها يفضل عن سواه في وظائف
الحكومة فادى ذلك الحال على تماطر القوم من كل طبقة على الزواج
منهن ، وكان الأزواج يعدون محاسيب السراى الخصوصيين ، وعلى الأخص
الباشا الذى كان لهم أكبر عضد وسند بالسراى لتنفيذ كل رغائبهم
وجميعهم يقبلون أياديه باضناً ومهذراً ، ويدون أنفسهم منتبين فيه . وكان
هو يتبه دلاً عليهم وكبراً وعجباً . كل هذه الأحوال السيئة كانت
من اسباب تأخر رقى البلاد وتقدمها فقضى على كل هذا وجود الاحتلال
الانكليزى

وكان من حسنات الخديوي رفيق انه لا يميل الى الاذى ولم يسعه قط في اغتصاب مال الغير ، عائشاً عيشة بسيطة جداً بعيداً عن المطامع ولا يعزى اليه امر يؤخذ عليه سوى عدم كياسته في المسألة العرايه

وقد عينت في عهده مراقباً للاموال الغير مقررده بنظارة المالية ومديراً عاماً للدخوليات فما رأيت منه يوماً ما ضمماً مطلقاً في اي امر بل كان يمثل لنظام الحكومة ويحترمه ويسير بمقتضاه كاحد الافراد وكان في ذلك الوقت رياض باشا رئيساً للنظار وناظراً للمالية والداخلية والمعارف ، وكان كما قلنا رجل ذو شمم عظيم واثقة كبرى ومقدرة عالية اذكر عنه ما يأتي

كان جناب المستشار المالي معدوداً الثاني في النفوذ والسلطة بعد كرومر ، فدخل يوماً على رياض باشا بنظارة المالية لابساً ملابس بيضاء وحراماً ايضاً فقال له رياض باشا ، هل جنابك قادم من الصيد فقال لماذا يا دولة الباشا فقال له لان هذه الملابس ليست ملابس مصالح بل اظنها مخصوصة للصيد ، ففهم المستشار الغرض وفي الحال عاد لمنزله وغير ملابسه ووضع ضربوشاً على رأسه . وعاد للنظارة ودخل على رياض باشا فنصحت رياض باشا في وجهه وقال هذه هي ملابس النظارة باجناب المستشار ودخل يوماً السر غورست عندما كان مراقباً للاموال المقررة بالماله على دولة الوزير وعرض عليه بعض اوراق أخذ عنها رأى دولته ، ومن بين هذه الاوراق عرض عليه عريضة وردت له من بلدة بالتظلم عن أمر فقال لدولة الوزير — وردت لي هذه العريضة فكتبت عنها بكذا وكذا ولكنني قبل أن ارسل الرد . أردت ان أعرض الامر على مسامعكم ،

إذا كان ما كتبه هو الموافق ، فقال رياض باشا بحدة ، هات العريضة
 فاخذها ومزقها ارباً ارباً وقال له لا وجه لتقديم العرائض والشكاوي الا
 للوزير ، فهل انت عيذت وزيراً آخر؟ فسكت غورست مع ما كان عليه
 من الانفة والكبر ولم ينطق بكلمة ، وبعد ذلك حرر رياض باشا منشوراً
 بأن العرائض لا تكتب الا للوزير . وكان رياض باشا رجلاً عصبي المزاج
 حاد الطبع ، عالي النفس جداً . شريف المسالك شرفاً لا حد له . رجلاً حكومياً
 بمعنى الكلمة ، قادراً على العمل لا يعرف العمل اسماً ولا جسماً . مهما كانت
 عليه صحته من الضعف الشديد ، لا يقتصر على العمل بالديوان بل يشتغل
 في منزله كل أوقات الفراغ من الديوان لغاية نصف الليل ، وكان موظفو
 النظارات التي يرأسها ، وهي عادة المالية والمعارف والداخلية ورئاسة مجلس
 النظار ، دوماً بأوراقهم بعد الظهر في سراه اعرض اللازم منها والاستئذان
 عن ما يلزم ، وما وجد وزير بمصر خشيته اولاً . سواء : فانه كان لا يخلج
 من معارضتهم في كل امر غير نافع للبلاد ، مهما جلب ذلك عليه من غضبهم ،
 وكان رياض غير ميال لا لتشار الموظفين الانجليز . بمصالح الحكومة ويقول
 لا بأس من اعطائهم حق الاشراف العام . ولكن لا يسمح انتشارهم بالمصالح ،
 حتى وانه عندما عرض عليه نخامة اللورد كرومر تعيين المسر اسكوت
 مستشاراً لنظارة الخفائية غضب غضباً شديداً . ورفض بتاتا الموافقة على
 تعيينه فألح اللورد كثيراً فلم يقبل رياض باشا ، وخشي ان اللورد يحاول اخذ
 قبول عن ذلك من الخديوي فخير الخديوي مادماً . وحصل منه ان لا يرضى
 مع اللورد كرومر بأي كلمة في هذا الموضوع ، بل يحين اذ مر عليه . هو عدة

الخديوي بذلك ، ولكن بمجرد ان قابل اللورد كرومر الخديوي وطلب منه هذا الامر ، وعده باجابة طلبه (والخديوي توفيق كان معروفاً بالضعف) ففرح كرومر بذلك وعاد في الحال لنظارة الداخلية ، وقابل فيها رياض باشا وأخبره بما كان ، فغضب رياض باشا غضباً شديداً وصرخ بصوت عال جداً وقال هازأ رأسه

الخديوي وعدك ومتى كان ذلك ؟

فقال اللورد — أنا قادم مباشرة من عنده

فقال رياض باشا — هكذا وعود الملوك ، الخديوي وعدني قبل ساعتين بعدم قبول هذا الطلب ، وبعد ساعتين وعدك بقبوله — سأقابله واعطي لك قولاً فيما بعد

وفي الحال قام رياض باشا وتوجه للسراي ، وقال للخديوي ، كنت اظن انك تقدر خدماتي للبلاد التي أنت سيدها ولك مصالح فيها ، أكثر مني ، ولكنك وقد خلقت وعدك معي ، فاختر من تشاء بدلي ، فاني مستقيل وهذه استقالتي ، فارتبك الخديوي ارتباكاً شديداً ، وطلب من رياض باشا برجاء والحاح أن لا يستقيل بسبب هذه الحادثة لأن ذلك يوجب سخط الأمة ويهيج الرأي العام ضده

فقال رياض باشا . أقبل على نفسي أن أكون صحية عملاً هذا . حتى تنجيك من المسؤولية أمام الجمهور ، ولكني مصر على الاستقالة بعد . وترك الخديوي وتوجه للنظارة وفعلاً بعد صدور الذكرى بتعيين اسكوت باربره أمام استقال رياض باشا والنظار جميعاً كانوا يخشونه ويهابونه جداً

وأعرف من نوادره مع النظارة ان المرحوم نخري باشا ناظر الحقانية وقتها، أصدر منشوراً ببناء على تعليمات المستراسكوت لجميع المحاكم بعبادي، لا تنطبق على رغبة رياض باشا — وبمجرد اطلاعه على المنشور، استحضر ناظر الحقانية وسأله قائلاً، هل سعادة ناظر الحقانية كان في غيبوبة حينما أصدر هذا المنشور؟ فراد نخري باشا الاعتذار والتخلص من تبعه هذا المنشور، فلم يقبل منه رياض باشا وقال له آخر قول في هذا الموضوع، أم سحب هذا المنشور وتغييره بهذه الصورة « وقدم له صورة منشور مجهز بقلمه، ضد المنشور السابق على خط مستقيم » وأما أن تستقيس وامامك ست ساعات للتروي، فقام نخري باشا وتوجه لزيارة الحقانية وعرض تفاصيل الامر على السير اسكوت. فكان جواب اسكوت اني أفضل سحب المنشور وتغييره بالصورة التي أمر بها دولة الرئيس على استقالتكم، لأنك موضع ثقتي وآمالي في اصلاح الحقانية، وعلى ذلك تغير المنشور وتم ما اراد رياض باشا واعتذر السير اسكوت لدولة رياض باشا وصرفت هذه المسألة على هذا الوجه

ومن نوادره اللطيفة أن دخل عليه يوما بالديوان بعد الاستئذان المرحوم تيجران باشا ناظر الخارجية. وكان بيده عصاه، فاستدعى رياض باشا الحاجب الواقف امام الباب وقال له سعادة الباشا نسي أن يترك عندك عصاه حال دخوله هنا فخذها من سمادته وابقها عندك وحين خروجه اعطها له، ففجأ تيجران وسلم العصا للخادم بدون أن ينطق بمتشفة ودخلت أنا أيضاً عند دولته لعرض مسألة هامة. وجدت قبل ان

يأذن لي بالجلوس فغضب وقال لي (بحالة غضب لم اعتدها منه) ماذا تريد فادركت الامر وفي الحال وقفت وقلت لدولته — عندي مسألة هامة اريد عرضها على مسامع دولتكم ، فقال ليس عندي وقت الآن ، وبعد برهة من الزمن تذكر اني لم اقصد بجلوسي الخط من كرامته او عدم الاعتناء — انما تلك هفوة غير مقصودة وتذكر ايضا ان المعاملة التي عاملني بها كانت قاسية وشديدة فطلبني فدخلت عنده فوجدته باشا مسرورا فقال تنفضل اجلس ، ما عندك من الاعمال فعرضت ما كان لدي ، واخيرا طيب خاطري قائلا ، وانما اذا عاملتك بما عاملتك به فماذا لك الا لانك عندي بمنزلة ولدي فكان هذا الخطاب موجبا للرضاء التام وأنساني بانرة ماغات ، وكان من طبعه الميل الشديد للعدل والمساواة حتى ، لو كان ذلك يؤدي لضرر ذويه بل واولاده ، واضرب مثلا لذلك نادرة واحدة تدل على كثير مثلها من هذا القبيل

كان يدخل ضمن دائرة عملي بنظارة المالية — مراجعة جميع احكام مجالس التأديب بالحكومة وفروعها ، فراجعت حكما صادرا من مديرية اسيوط ، وكان المدير وقتها المرحوم محمود رياض باشا نبجله — فوجدت الحكم كاه ظلم ، فقد حكم على اناس بالرقت من خدمة الحكومة بدون حق ولا مستند يبيح هذا الحكم. فلم ترض ذمتي الموافقة على هذا الحكم مراعاة لنجل رياض باشا. فدخلت عليه وقلت له بكل جراءة ما ياتي:

طعما في عدالت المشهور ، اتجاسر بان ارفع ضد نجلكم محمود رياض باشا شكوتي. على تصرفه القبيح العادل ، حيث انه أصدر حكما ظالما ضد

موظف، ضعيف لم تسمح له وظيفته بالوقوف أمام رغبة المدير بالدفع عن نفسه، فحكم عليه بالرفق والحرمان، وأنا أعرف أن دولتكم لا تقبلون وضع اسمكم الشريف على مثل هذا الحكم. فانسر جداً رياض باشا من كلالتي ومن صراحتي، وكتب بيده خطاباً شديد الالهيّة ويبيّننا لتجلبه محمود رياض باشا، وأمرني بإلغاء هذا الحكم، وإعادة النظر فيه، ففعلت بما أمرني به

واتهزنت هذه الفرصة وعرضت على دولته، أنه ضالماً زمام الأمر بين يديكم، لا خوف من ظلم أحد ولكن هل يمكن ضمان ذلك مع الغير؟ فقال لي باسماء، وماذا تريد أن أفعل؟ فقلت لدولته إذا سمح مولاي فليكن مجالس التأديب بالفروع، مجالس استئناف لإعادة النظر، وقد يمكن أن تكون مجالس الاستئناف، مجالس النظارات، لأن في ذلك ضمان عظيم لعدالة الأحكام، فاستحسن كثيراً هذه الفكرة وأمر فعلاً بتنفيذها، وكانت هذه الطريقة أكبر ضمان لسير العدالة في الأحكام — وقات لدولته أيضاً، ومن هذا القبول مصلحة تعد تنسبها غريبة عن نظام الحكومة وهي مصلحة الدائرة السنية ومستخدميها يتسامون لعذاب الأليم، من أحكام مجلس تأديبها النظام بسبب استبداد رئيسها فريد باشا لمعلوم أمره للجميع. على أن معاشات موظفي هذه المسجدة تدفع من خزانة الحكومة (المالية) فبلا يستعصوب دولة الوزير أن يكون استئناف مجلس تأديب الدائرة السنية تجلس نظارة لماليه، ففعل هذا حق وعدل، ففعل ذات أيضاً فأدى هذان الأمران خدمات جنيّة وضماناً لا يقدر للموظفين جميعهم

بالقروع وبالاخص موظفي الدائرة السنية ، الا انها استوجبا سخط
المديرين المستبدين. وعلى الاخص فريد باشا، لان استبداده تقيد بسلاسل
من حديد ، لا يمكنه فكها حتى انه حضر لنظارة المالية، وتقابل معي وأراد
اقناعي في إلغاء هذا العمل وقال ان ذلك يقال من تفوذه وسلطته

فقلت له -- ولكن عن مكر -- أعرض هذا على دولة اوزير، وربما
عند ما يفهم أن ذلك فيه تقليل من تفوذك. يعود فيعدل عن هذه الفكرة،
فقام بالفعل وعرض الأمر على رياض باشا فترتب على ذلك سخط رياض
باشا الشديد عليه ووبخه توبيخاً عنيفاً وأمره بأنه اذا كان يتضرر من هذه المبادئ،
فليستقم، فخرج فريد باشا حزينا لا يمتنى سوى عفو الوزير عنه ، فتوسط
المرحوم محمود باشا دوسغلي اغني صهر رياض باشا ووالد المرحوم حسين
رشدى باشا لدى دولة رياض باشا وطلب العفو منه لفريد باشا ، فعفى عنه
مشرطاً بأن الاستئناف الذي تقرر للتأديب لا بد منه وأنه مع ذلك اذا
سمع أنه ظلم او جار على أي إنسان فيحاكمه

ومن الذين تولوا نظارة المالية في عهدي خلاف رياض باشا ، المرحوم
عبد الرحمن رشدى باشا ، وهو رجل غزير العلم عظيم الفكر محترم احتراماً
كثيراً عند الانجليز وسواه ، وكان قوياً جداً ومقتدراً عظيماً في فن
الحسابات ومساك الدفاتر وكان يتقن جملة لغات اتقاناً تاماً منها الانجليزية
والفرنساوية والتليانية ، وكان بعيد النظر ، ثاقب الفكر ، رقيق الجانب ،
لطيف المعاشرة ، يقدر كل عامل حق قدره ، وكان له ثقة كبرى بالداعي،
حتى انه عرض عليه في ذات يوم، زميلي جناب السير غورست -- وكان

إذ ذاك مراقباً للاموال المقررة — خطاباً مهماً محرراً لأحدى الجهات باللغة العربية ، فقبل التوقيع عليه دعاني وقال لي : ارجوك تلاوة هذا الخطاب وإذا كان لك فيه فكر فبده ، فقرأت الخطاب ونقحته كما تراءى لي وبعد ذلك وقع عليه ، فأوجب ذلك غضب السيد غوردست مني فحضر عندي بمكتبي وقال لي غاضباً

لماذا تتدخل في شغلي ؟

فجاوبته باسمًا ، غريب منك هذا القول ، أنا لم اغتصب منك عملاً ، فإذا كنت تقصد عدم اطاعتي للوزير ، في تنفيذ أمر أمرني به فيجدر بك أن تسأله هو عن ذلك ، وأخيراً تفاهمنا واصطلحنا

وكان المرحوم عبد الرحمن رشدي باشا محل احترام الانكليز التام ولكن لم يخول له من السلطة أكثر من غيره ، والوزير الوحيد في يده ، الذي قام بحق النظارة حائزاً تمام السلطة بدون شريك هو رياض باشا ، كما اسلفنا الايضاح حتى وانه ذات يوم حينما كان المرحوم بطرس باشا ناظرًا للمالية دعاني رياض باشا للاستشارة مني عن مسألة نفى البطريرك وكان دولته شديد السخط على من قاموا بهذه الحركة . وكان في اعتقاده ان هذا العمل خطأ عاثر من الحكومة . به ضاد لقوانينها ، وموجب لارتباكها وموقع الخديوي في مسؤولية قضى . ان يبوب ونظام الحكومة . يفضيان ان كل من تنوجه ضده تهمة ، ولو كان من ائمة ومثنية ونحو ذلك يجب ان يحاكم امام المحاكم بعد تحقيق دقيق ، والحكم الذي تصدره المحكمة في حقه هو الذي يحترم وينفذ ، على ان السيد البطريرك رئيس

ديني كبير جداً لامة الاقباض ، وله مركز سامي ومعدود في صف بابا رومه
فمن تكون درجته كهذه لا يمكن بمجرد توجيه الرغبة لنتيه ان ينفي بأمر
اداري، وبدون حكم من محكمة ، ولذلك كان يخشى المرحوم رياض باشا من
وخامة هذا العمل اذا قام البطريك في وجه الحكومة ، خصوصاً وان
قنصل عام دولة رومانيا داخل في هذا الامر باعتبار انه نائب دولة ارثوذكسية
ولذلك أراد أن يرجعه من منفاه بموكب حافل وترضية كبرى ، وانا
كنت أنا الفرد الوحيد من الاقباض الذي تباعد عن الاشتراك في منفاه،
بل كنت بالعكس معارضاً لذلك ومقدراً وخامة العاقبة حق قدرها، وكان
المرحوم رياض باشا يعرف ذلك عني جيداً، فدعاني للاستشارة معي في بعض
مسائل تختص بهذا الغرض، وأخذ فكري فيما يحسن عمله لاسترضاء جناب
البطريك ، وبعودته : فقلت لدواته يجب ان الفريق الذي تطلب نفي
البطريك، يقدم التماساً للحكومة برجاء عودته الى كرسيه كما كان، عند
وصوله للمحطة . تصطف لهنته فرقة عسكرية، وادانت تكون في انتظاره
عربة من الركائب الخديوية وبعد ذلك تروره دواتكم بالدار البطريكية لهنته .
وعند زيارته للجناب الخديوي يقلده بيده الكريمة الجران كوردون العثماني،
هذا يامولاي ماأراد واجبا عمله لاسترضاء البطريك ، تحت استحسان
دواتكم : فستحسن كل هذا وأمر دواته بالأجراء بمقتضاه

أنا وكلاء الوزارات الذين كانوا في عهدي فهم بلوم واللورد ملتر
ودوكنس ومنتش انس، والمستشارون بانر، وغورست ، فبانر كان رجلاً
سريع الفهم شيطناً للغاية ، لا يؤجل عمل اليوم للغد ، وكان في عهده هو

كرومر الثاني في جميع منطته . وانعمل الحكومة . وكان الكل يخشونه
ويسمون بمجدهم لأرضائه إلا رياض باشا فكان بالعكس ، فبالمر هو الذي
كان يطلب رضاه ، وكان رجلاً على حق ، عادلاً حتى لو تقاضى مصري
وانجليزي فكان ينحاز لجانب الحق ، ولكنه كان كمثل مستشار ممسات
للاغاية في الميزانية . ومن امثال عدالته انه كان يوجد من الموظفين الانكليز ،
الذين يشتغلون ببعض الفروع التابعة لمصلحتي ، شخص يسمى هو كبر فهذا
الموظف وجد يوماً بالسراي الخديوية في يوم شريفة ومع انه من الذين
يجب ادخالهم التشريفة من موظفي الفروع بعد ادخال موظفي الوزارة الذين
هم عموم الفروع ، فقد تجارى بسماجة غريبة ، لا تعرف للحياء ولا
للدوق وجهاً

فقال لي وأنا رئيسه . لا يصح انك تدخل قبلي وانا انكليزي ، فقلت
له يظهر انك تجهل الصف الذي تدخل فيه واستدعيت المرحوم خيرى بك
التشريفاني ، وقلت له هذا الخواجا لا يدري اين محله ، فأرجو ان ترشده
الى المحل المقرر لوظيفته فقال له خيرى بك ، يا سر هو كبر هنا ليس محلات
تعمل معي انا ارشدك الى محلات ، فغضب هو كبر وعاد كلامي اهانة له وضرب
من الحاضرين ان يكونوا شهوداً . فقلت للحاضرين من لم يسمع من
حضر اتكم كلامى فأعيدته اليه حتى تحفظ الشهادة غيباً وبعد ان انقضى
زمن التشريفات . عدنا للمظارة ، فسبقني وقدم شاكور في حقي لو كبر
المالية وكان اد ذاك السير غورست ، فدعاني وكتب مني بيح الاعصاب . جداً
مما حصل ، وعقدت ليلية أملاً ساهل في شي ، ونواقضى الحال لتركى خدمة

من الحكومة ، فعند دخولي المسير غورست بادرني بالقول ، ماذا يا قليني
بك قومت القيامة بالسراي في هذا اليوم على هو كر ، فقلت له ، هذا كذب :
من قال لك هذا القول . فقال لي اخبرني به المستر هو كر . وكان بجانبه -
فكررت القول قائلا هذا الكلام كذب محض ، فقال نعم نعم قص
على أنت ماجري ، فقلت له ، انا توجهت للتشريفات حسب العادة ، وبحسب
النظام المعمول لها من قديم ، وتواجدت في المحل المعلن لي ، وفي أثناء ذلك ،
رأيت هو كر آتيا مختفيا بالصوف مسرعاً نحوني قائلا لي . لا يصح أن تدخل
قبلي ، وانا بعدك مع اني انكاري ، فقلت له يظهر انك تجهل النظام ، ولم
تعرف محلك ، وأشرت الى احد رجال التشريفات بأن يرشده لمحله ،
هذا كل الذي حصل ، ولم أكن أنا البادي لذلك ولا انا المحرك ، فقال لي
مفرضاً - والغرض مرض - وهل نسيت يا قليني بك ان مرتبه اكثر من
مرتبك ، فضحكت وقلت له ، وهل تحاكمني على ذنب انت اقترفته في حق ،
كيف يكون مرتب الرئيس اقل من مرتب المرووس ؟ فقال لي انت في هذا اليوم
عصى المزاج ، انبق هذه المسألة للنظر فيها ليوم آخر ، فقلت له كل يوم تسألني
فيه ترى مني حدة الطمع الذي تراد الآن ، فلا حسن ان تحكم فيها بما تريد اليوم
فرفع الامر الى السر بالمر . وقص له المسألة من أولها لا آخرها ، فغضب السير
بالمر غضباً شديداً عند ما سمع القصة ، وقال هذا أمر يوجب الخس في نظام
الاعمال . وول هو كر في الحال اما ان اطاب بردون من قليني بك واما لتسهيل
في هذه الساعة فحضر هو كر مكتبي وطلب الاذن لمقابلتي فاذنت له فدخل بكل
نواضع ومخذب مني بردون وهو واقف مكشوف الرأس منحني بكل خضوع

فاستغربت لهذا التغير الفجائي لأنني لم أعلم ما فعله السير بالمر فطبعا عندما رأيت ذلك منه ، عاملته بكل لطف ، واجلسه بجانبني ، وطلبت له قهوة حسب عوايد بلادنا ، وانصرف ما كان داخل صدورنا ، وانتهت المسألة غرضي من هذه القصة اقامة الدلائل والبرهان على عدالة السير بالمر ، وكان يميل جداً للنظام في الاعمال ، ولما كان من ضمني حب الترتيب والنظام انتهزت هذه الفرصة وعرضت عليه مشروع ميناء للتجارة بمصر تشبه ميناء البصل بالاسكندرية وقررت وضعها بجهة روض الفرج وهي الجهة السكائنة بحرى المدينة ، المعروفة الآن بساحل روض الفرج . وكلها مواقع صحية ، وخلاء بجانبى في طلي . وكان هذا أول عمل بمدينة المحروسة من هذا القبيل ، وحضر افتتاح هذه الميناء ، جناب الخديوي واللورد كرومر وسائر القناصل وأعيان المدينة وكبرائها ، وكان عيد عظيم وعملت ميناء أخرى في جنوبي مصر بجهة أثر النبي . — المعروف الآن بساحل أثر النبي ، لجميع أصناف العمارات وأدوات الحريق ، وصار افتتاحها باحتفال عظيم مثل الأول

وأما السير غورست فكان له معي كثير من النوادر ، تارة وهو زميلي ، وأخرى وهو وكيل المالية ، ثم وهو مستشارها ، لكن الحق يعلو ولا يعلى عليه . فلرجل كان ذكياً جداً ، سريع الخاطر ، شريف المسند ، عزيز النفس جداً ، واسكته كل رأي مزاجه المفاه . فكان تمييز ركب وسباق الخيل ولعب القيس وملاصقة الجاس بالحيث — و اعنى — في هذا الموضوع ولا نخر — فكان يميل لعمل بسرعة . ، وأضن ذلك كان

تابعاً لصحته، ومع ذلك قام بخدمات جليلة لمصر والمصريين والحكومة أيضاً،
ومن الخدم العظيمة التي أداها مصر، أنه عندما تعين مستشاراً للمالية، دعاني
يوماً إليه، وقال لي أريد أن أفعل شيئاً يرضي أهالي البلاد ويجذبهم لمحبتي،
فأنت مصري وخدمت بالأقاليم والمدن، ويمكنك أن تدلني على شيء يرضيهم،
فقلت له نعمت المكرة، إذا أراد سيدي أن يرضي الجمهور ويكسب قلوبهم
فلا يكون أحسن من إلغاء ضريبة الدخوليات بجميع الأقاليم ومصر
والاسكندرية. وإلغاء عوائد الهويسات، فإن تلك الضرائب لا يوجد
أثقل منها على النفس، فقال موافق على رأيك وسأفعل ذلك، ولكن
الذي يدهشني أن هذه الضرائب هي التي تكون منها مصالح إدارتك
فكيف تتطلب مني إلغاؤها، مع علمك أنك بعد ذلك لا مصالح تبقى لك،
هذا سر لا يمكنني أن أدركه، فقال لي السبب — فقلت له باسمًا — سيدي
أنا من أهل البلاد وبنيتها، وهذا الخير الذي تريد أن تفعله بالبلاد يعني
ويعم عشيرتي إلى الأبد، ولكن الوظيفة تقليد، جائز تبقى لي اليوم وتزول
عني باكر، على أن كل محب لوطنه يجب عليه تضحية نفسه لصالح بلده،
فأريد أن أفلد أفضل القوم مرة في حياتي، فسر جداً من كلامي وهنأني وفعلاً
تم هذا العمل بكل سرعة. فاجتذب محبة عموم أهالي القطر

وأما أعمال جليلة يقصر قلبي عن حصرها — وسأذكر منها شيئاً عند
كلامي عنه لما كان معتمداً سياسياً خلفاً للمرحوم اللورد كرومر

وأما أوكلاء فمنهم بلوم باشا — وهو إسرائيلي نمساوي، رجل يندر
مثله في النشاط والهمة مبالاً لعمل المعروف والخير مع الناس، محبوباً عند

جميع مستخدمي النظارة ، وخدم زمناً طويلاً نال فيه صيتاً كبيراً وشهرة عالية وذكرًا جميلاً سواء أكان عند الانكليز أو عند المصريين ، وكان في عهده موظف يسمى اسمعلوم انت رجل غريب في بابه وكانت وظيفته مفتشاً بالمالية ولكن كان له نفوذ لا يقل عن نفوذ وكيل المالية ، فلما تمينت حديثاً بنظارة المالية وكان ذلك في عهد وكالة بلوم باشا فبينما انا جالس بمكتبي وقائم بعمل مع بعض الموظفين التابعين لادارتي ، واذا بجاويش دخل وقال للموظف الذي كان يشتغل معي . تفضل اليك يدعوك فوضع اوراقه على مكتبي وهم بالخروج طوعاً لا شارة هذا الجاويش . فاستغربت جداً ودعوت هذا الموظف ، وقلت له الى اين انت ذاهب فقال اليك يطبني فقلت له أي بك فقال اسمعلوم بك فقلت هل انت موظف سرف اسمعلوم بك او هل اسمعلوم بك شريك لنا في ادارتنا ؟ فقال لا ، فقلت لا تذهب هذا اليوم ولا في أي يوم يطلبك وإذا علمت انك توجهت مرة ما عنده فلا بد من رفتك ودعوت أيضاً الجاويش الذي كان حضر لهذا الغرض وفهمته بأنه اذا حضر يوماً آخر وطلب أي موظف من "تابعين مصالحتي" فلا بد من السعي في طرده

وبعد ذلك توجهت لمقابلة بلوم باشا وأنا بالجميع . فعمل من هذه الاجراءات وقلت له نظام المصاحبة نظام فوضى : وأنا لا اقبل ذلك منه مني واحد خارج عن مصاحتي يتصرف في موظفي ادارتي بدون اذني ،

فقال لي لا تغضب ، واني اعدك بان هذا الامر لا يتكرر ، واحضر في الحال اسمعولم بك وقال له يظهر انت تجهل طباع قليني بك فأرجوك ان لاتتداخل مطلقاً في مصلحته ولا موظفيه ، واحذر كل الحذر انه اذا تكرر منك ذلك فيعرض الامر على رياض باشا ووقتئذ لا يمكن احدنا اننجيت ، نخاف اسمعولم كل الخوف واجتهد في ارضائي وكف عن تصرفه هذا والوكيل الذي اعتب بلوم باشا هو العالم الكبير والمحرر الشهير صاحب العقل الواسع والفكر الثاقب جناب اللورد ملر الذي عين والياً على الترانسفان وكان رجلاً رقيق الاخلاق لطيف المعاشرة عالي الهمة ، كبير النفس مع تواضع فيه كل الصفات الحسنة ولم اعرف له سيئة واحدة على عكسه متشابه أنس الذي كان وكيلاً للمالية بعده فان صفاته كلها سيئات لم اعرف له حسنة واحدة ، بليد الفهم ، ميالاً للاذى والشر ، لا يفي بوعدده مرة واحدة ، كذوباً في جميع اقواله ، يسر ويرقص طرباً كلما تيسر له اذى بني الانسان ، ويحزن حزناً شديداً اذا بدا على يديه عمل خير ، قال ان يوجد مؤذ شرير نظيره لا بين الانجليز ولا المصريين سوى واحد فقط وهو فريد باشا الذي كان ناظراً للدائرة السنية فان اخلاقه كانت تقريباً مثل اخلاق متشابه أنس تماماً ، وأما المستر دو كنس الذي كان وكيلاً للمالية بعد المستر متشابه أنس فكان رجلاً طيب القلب ، في اخلاقه شيء من اخلاق الدراويش ، بعيداً عن الاذى ، كريم العنصر أديباً في كلامه وأفعاله ،

وقبل أن أختم الكلام عن المالية ورجلها لا أريد أن أنسى نفسي، فسأتكلم شيئاً اجمالياً عن مصالحتي التي توليتها وما جرى فيها. وأرجو من القارئ أن يعتقد في صحة كلامي لأنني أقسمت أني لا أكتب في مذكراتي إلا حقائق شاهدتها بعيني وفعلتها بنفسي مجرداً عن كل غاية وغرض حتى ولو كانت عن شخصي

فالمصالح التي كانت تحت إدارتي وكنت عليها مديراً عاماً، ومراقباً عمومياً هي مصالح دخليات مدن مصر والسكندرية، بورسعيد والاسماعيلية والسويس ودمهور والمنصورة وطنطا والقازيق والمنحة الكبرى وبها والجيزة والفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسائر المدن الرئيسية، ومصالح الاسماك بعموم القطر المصري سواء كانت بالبياه الحلوة أو المالحة والملاحة بالنيل للوابورات والذهبيات وسائر المراكب بأنواعها. ومصالح الملح والنظرون والضربخانة، وكافة ما يتعلق بدمغة المصوغات الذهبية والفضية. وكل أنواع الدمغة ونحوه. وكانت تدخل ضمن إدارتي أيضاً الإدارة العربية بنظارة المالية. وكان يشملها النظر في جميع أحكام مجالس التأديب لمصالح الحكومة اجمع وطلب الرتب والنياشين من مستخدمى المالية وفروعها. وكل أعمال تحمل الشرف بما في ذلك تخيير الكسوة وإرسال الهدايا من غلال ونحو ذلك منكم لمكرم. هذه هي المصالح بطرق الاجمال التي كنت أراها، وفوق ذلك كنت رئيساً لمجلس تأديب الدخليات وعضواً لمجلس تأديب نظارة المالية. وعضواً بالمجلس المستدعى بتعيين المستخدمين بسائر مصالح الحكومة. وعضواً بمجلس تنقيح قوانين

الحاكم مندوبا من قبل المالية فبحمد الله تعالى قمت بسائر ما كلفت به
أحسن قيام بشهادة رؤسائي، وهم بالمر، ومنير، وغورست، والمورد كرومر،
وزادت الإيرادات في عهدي نحو ١.٣٣٤.٣٢٠ جنيتها أي بواقع ٥٠ ٪ عن
إيرادات الإدارة السابقة التي كانت في عهد المسيو مازوك . فوجب ذلك
حقده على حقداً شديداً، ومن سوء حظي صادف حقده آخرين أكثر
منه حقداً، وهم متشائل انس واسمعلوم وهو كر، الذي كان يطمع في أن يتولى
مصلحتي لأنه انكليزي ليس إلا . واسمعلوم بك لاني قنلت في وجهه ابواب
المنافع التي كان يستفيدها من مصلحتي، فيدنا كنت اتقلب على آخر من
الجر من دسائس وهؤلاء، كل منهم ذو نفوذ كنت اسمع اقوال البعيدين عني
اني بصفتي ملك مستقل ادير حركة مملكة لا شريك لي فيها . ويحسدوني
على ذلك ومن الجهة الثانية كان على واجب مصلحتي الذي كان يستغرق كل
وقتي في العمل والفكر والملاحظة حتى لا تقف حركة دولاب اشغالي، ظلمت
زمننا وانا أعارك بين جميع هذه العوامل حتى فضح امر حسادي وانكشف
وانتصرت عليهم جميعاً، وخرحت ضافراً وكلهم اصبحوا اذلاء، محقرين
امامي، فشكرت الحق تعالى الذي نصر الحق، واني ألا أخش لومة لائم
بالقول اني خدمت الفلاح المسكين والتاجر الصغير خدمات لا تعد ولا
تحصى وسعيت في رفع جهة عوائد كانت تؤخذ من الفقراء والمساكين
فالغبت عوائد الجنائن التي تتبع المنازل وعوائد المراكب والهوسات،
والغيت العوائد التي كانت تؤخذ على قرافة الامام لشافعي، ونزلات كثير
من عوائد دمغة المنسوعات، ورحمت بمولى الدخايات من بهدلة بصائعهم

وأكتفيت بأخذ العوائد على الوزن بدون تفريع ، ولا عد بضائعهم منعاً للبهذلة ، والغيت كي المواشي بالنار لأن ذلك كان عذاباً ألماً للحيوان. ورفعت شأن المستخدمين وجعلتهم جميعاً من أرباب الضبطية القضائية وحليت صدور المجتهدين منهم بالنياشين وجعلتهم بدرجة مستخدمي المالية والداخلية مما حسدني عليه كثيرون — وسعيت في إنشاء كوبري الجزيرة منعاً للزحام الخاص بكوبري قصر النيل ، وتم ذلك فعلاً ، وأنشأت ميناءين عظيمين للتجارة بمصر كما ساف القبول وبذلك تطهرت المدينة من الحرائق ، وخصصت مواقف مخصوصة للمراكب حفظاً لماء النيل من الوساخة حتى لا تنفسي الأمراض بالقطر ، وعملت أعمالاً كثيرة أوجبت نحر رؤسائي ، فلا عيب على إذا ذكرتها ، وكلها مدونة بسجلات الحكومة الرسمية ، وختمت أعمالني بالحكومة بأن عرضت إلغاء مصالح الدخوليات التخفيف من على عاتق المسكين فاقبت حسب طلي ، وكانت نتيجة ذلك اخلاقي من مصالح الحكومة ، واني مسرور جداً لهذه التمنحية لأنها من بعض واجبات المرء نحو وطنه إذا كان عنده ذرة من محبة الوطن ، ومحبة الوطن كما تقول العامة من الأيمان

وفي عهد الخديوي توفيق توفي من كبار الرجال . شريف باشا وسلطان باشا وعلى مبارك باشا ، فشريف باشا سبق أن ذكرته ضمن ثلاثة المعروفين وهم نوبار وشريف ورياض ، وقلت عنه انه من اعظم لقوم شرفاً ومحبة للوطن عالى النفس جداً ، وربما كان هو ورياض باشا الثمرتين المذنين لم يهابا اسماعيل دون جميع القوم ، واما المرحوم سلطان باشا فيجب ان شرح

شرحاً وافياً عنه لاني اعرف الناس به

فالرجل من اصل مصري محض وربما كان في جدوده نسب من العرب
وانه كان من عهد نشأته ذكياً ذكاء مفرطاً على انه لم يتعلم بالمدارس ولكنه كان
فصيحا جاداً واثقاً اللغة العربية على كبر حق الاتقان، سمح الوجه طلق الحيا،
منفطوراً على حب الخير، كثير الحسنات للفقراء صاحب هم عالية لا يخيب
من يقصده، وكان بالطبع في اول نشأته كمثل سائر اولاد العمدة والاعيان
وكان اول منصب يتولونه اما العمودية ببلادهم أو المشيخة، وكان بينه
وبين المرحوم الشريفي باشا صداقة تامة، والشريفي وقتها كان ناظر قسم
قلوصنا اعني مأمور مركز قلو صنا ومن المقبولين لدى الخديوي سعيد . . .
فطلب الخديوي يوماً من الشريفي ان يرشده على احد اعيان البلاد
اللائقين ليعينه ناظر قسم . فعرض جنابه الرفيع اسم المرحوم سلطان باشا
ووقتها كان الحاج محمد ابو سلطان عمدة لزاوية الاموات، فطلبه الخديوي
وكلمه فسر من اجوبته سروراً عظيماً . وقال له هل يمكنك ان تضيفني
ومعسكرتي ببلدك؟ قال نعم يا افندينا، وهذا غاية شرفنا، فقال له بعد ثلاثة
ايام انا حاضر بعطرك . وفعلاً توجه الخديوي بجمعيته ومعسكره، فنصب
لهم ابو سلطان الضيوانات — السرايدات — ومد انواراً على الطقس
العربي، فأكلوا هنياً وشربوا مريئاً، وبعد ذلك قال له الخديوي — مع
سروري التام من كرمك، لا أخفي عيك ان دارك الذي تسكنه لا يليق
بضيافة الملوك . وانا قائم الى السودان وتستغرق سياحتي خمسة اشهر .
فعند عودتي سأعرج عندك، وأنزل في منزل غير هذا يليق باستقبال

الملوك ، فقال له سلطان باشا ، نعم يا أفنديا سيكون ذلك ، ويكون في هذا الأمر اكبر فخر لي ، وبعد سفر الخديوي ، قام سلطان باشا حالا وتوجه لمصر واجتمع بالمرحوم الشيخ علي الميحي ، الذي كان بينه وبين سلطان باشا صداقة ، وطلب منه ان يرشده الى مهندس قدير ، كي يرسم له قصراً يريد انشاءه ويكون لا ثقلاً بالجانب الخديوي ، فرشده الى مارغب وقام المهندس صحبة سلطان باشا الى زاوية الاموات ، ورسم له قصراً جميلاً في وسط حديقة مساحتها عشرة أفدنة وشرع بهمة لا تعرف الكمال في بناء القصر وتنظيم الحديقة ، واستحضره منروشات فخورة . حتى عند عودة الخديوي كان كل شيء على استعداد . فندهش الخديوي من هذا العمل وزاد إعجابه وسروره من هذا الشهم الهام وأمر في الحال بتعيينه ناظراً لقسم قلعنا محل الشريفي باشا . ورقى شريفي باشا الى وظيفة وكيل مديرية بني سويف هذا كان مبدأ حسن لطالع المرحوم سلطان باشا ، وقد اظهر مهاراة تامة في وظيفته ، وغيره عظيمة فصاح الالهالي والدفع عنها ، حتى انه كانت في ذلك الوقت معظم اشيان الالهالي وثروتهم وممتلكاتهم ، مرهونه في ايدي الاروام ، بسبب الربا الفاحش الذي تسر ظهورهم . فاجتهد المرحوم سلطان باشا ، بان يخلص اشيان مركزه من ايدي ارباب الربا ورددها لاربابها ، ومن نوادره اللطيفة ، ان احد الاروام المذعور اخو اجابيل كان له مودة وصحبة شديدة مع المدير وقتها ، وكان اسمه حسن باشا ابو نيشانين . وبواسطة هذه المحبة كانت تصدر الاوامر المشددة من المدير ، مورا ان تهربان يساعده في خلاص اقساطه من الالهالي . ومن يتأخر منهم تسلم أرضه للخوارج رهناً

وقال ملكاً اذا اردت ، فخص في عهد المرحوم سلطان باشا صدور مثل هذه الاوامر له ، فما كن منه الا ان كتب للعمد والاعيان وكل من عليه دين للخواجاء ، ان يشذ امر المديرية في سداد الدين حالا وبدون تراخي ، وبعد الكتابة بهذا المعنى استحضرهم جميعاً . وعقد منهم جمعية ، واصدر لهم امراً شفاهياً ، بأن ما كتب لهم هو تسديد نمرة ، وامرهم بان لا يسدد احد منهم ولو قرشاً للخواجاء ، ومن يدفع قرشاً يخافكم ، فترح المدينون ووقفوا في وجه الخواجاء . - وظل الخواجاء يشكو والمدير يكتب وابو سلطان يبلغ ويشدد في التسديد ، كل هذا بأمر رسمي . وبأوامر غير رسمية يأمرهم بعدم الدفع الى ان اضمحل حال الخواجاء بسبب جداً ، فوقع في جاه وعرض ابو سلطان ، فقال له ، الالهالي فقراء وانتم سبب فقرهم واصبحوا مجردين فمن اين يدفعوا رباكم ؟ اذا اردت ان اساعدك فيوجد حل واحد وهو ترك جميع النوائد من أولها الى آخرها ، وحصر ما دفع نقدية منك للالهالي مجرداً من كل فائدة ، ويقسط ذلك على عشرة سنوات ، يستثنى منها السنين التي يهيف فيها الزرع . فذا وافقت على ذلك بكتابة يمكني اساعدك ، وبخلاف ذلك ليس في وسعي عمل آخر ، فقبل الخواجاء بغاية المنونية هذه التسوية ، لانه كان قاطع الامن من الكل ، وعلى ذلك ردت جميع الاطيان لاصحابها ، وتقسط الدين بالكيفية السابقة الذكر ، ووفيت الاقساط من المحسولات ، فترحت الالهالي فرحاً عظيماً ، واصبح مركز قلوبنا اغنى مرا كز جميع المديرينات بواسطة هذه العملية ، وترقى بعد ذلك ابو سلطان الى وكالة مديرية بني سويف ، ثم مديراً لروضة البحرين (اعني مديرتي

الغربية والمنوفية مضافتين لبعضهما) واظهر كفاءة عظيمة جداً ، واخيراً
تعين في عهد الخديوي اسماعيل ، حاكماً عاماً للشميد ، وصعد نجمه صعوداً
هائلاً اذ ذاك ، وقام بأعمال عظيمة يكل القلم عن حصرها مصلحة الاهالي
والبلاد ، وكان حاكماً رؤوفاً عادلاً ، ولكنه كان حاداً عنيداً مع فاسدي
الاخلاق وقطاع الطرق ، لا يرحمهم مطلقاً . واعرف له جهة نوادر عظيمة
منها ان الخديوي اسماعيل لما ضرب على الاهالي ضريبة المقابلة قل الخديوي
لسلطان باشا ان هذه الضريبة هي في مصلحة الاهالي لانها تخفف عليهم
فيما بعد ضريبة المال . فقال له المرحوم سلطان باشا ، في عرفي انا يا افندي ان
هذه الضريبة ستكون القاضية على الاهالي ففضب الخديوي غضباً شديداً
وامر بتفنيه للسودان . فتوسط المرحوم اسماعيل باشا المفتش بالعدو عنه وقال
لا بو سلطان أتريد اقامة الدين في ماطة ؟ كما هناك ستضرب حياتك . فقال
ابو سلطان لو كانت حياتي تقدم ضحية وتعود بفائدة على الامة قدمها
واكون الفائز . واخيراً أغنى الخديوي عنه وكانه بتحصين تلك الضريبة بنفسه
ومن اعماله العظيمة اني سألته ذات يوم وكنت وقتها مستخدماً معه
بوظيفة معاون بالدايرة السنية قائلاً متى يرحم الملاح من السخرة القاسية
هذه والكرباج ؟ فقال وهل انت تحب ان يعنى الملاح من ذلك ؟ فقلت
له بسرعة . هذا نعم وحشى ولكن اسألني في قلبه شيء من الرحمة صعباً يود
ذلك من صميم قواده . ففرح جداً اسماعيل هذه العبارة فمي واظهر سروراً عظيماً
وزادت محبتي في قلبه ، ولكنه لم يعطني جواباً عن سؤالني . بل ضل بخادشي
في أمور أخرى ، وغض النظر عن اجابتي

مضت الايام وتغيرت الاحوال ، وطلبت دول أوروبا تشكيل نظارة مختطة ، وتقييد اعمال الحكومة بهذه النظارة المسؤولة ، وحينذاك دعاني المرحوم سلطان باشا وقل لي ، قد آن الاوان الذي تحقق فيه بفتك من الغاء السخرة وابطال الكرباج ، تعال معي نقابل نوبار باشا رئيس النظارة فتوجهنا سوياً وعرض الباشا قيمة الخمر العائد من السخرة وانه في الامكان عمل كل شيء بواسطة المقاولات ودفع الاجرة ، ففرح نوبار باشا من هذا الاقتراح ، وقال له ارجوك ان تبلغ اقتراحك هذا ايضاً الى السير ريفرس ولسن ناظر المالية . فتوجهنا لناظر المالية الذي عرض الامر على مجلس النظار وقرره في الحال

ثم عرض على نوبار باشا اشياء اخرى كثيرة منها ابطال الكرباج ومنها الغاء "العوائد الشخصية" والجملة ، وعوائد اخرى كثيرة ضربت على الاهالي ظاهراً وعدواناً ، فقال له نوبار باشا أنا موافق على الغاء كل ذلك ، ولكنني أريد منك أن تعرض هذا على السير ريفرس ولسن ناظر المالية لأن ذلك من اختصاصاته . فتوجهنا في الحال جناب السير ريفرس ولسن وكنت انا ترجماناً لحال المرحوم سلطان باشا ، فيعرض كل ذلك عليه أوعد بقبوله . ومما ساعد على ذلك حسن الاعتقاد والظن في اقوال واعمال المرحوم سلطان باشا عند الاورباويين ، وعند نوبار باشا ، فتم كل ماتمنيناه ، وكان ذلك يوم سرور عظيم على الامة المصرية ، وعلى المرحوم سلطان باشا واهله اعي وكان المرحوم سلطان باشا يتصدق على الفقراء كثيراً ، فكانت في بلدته زاوية الاموات مضيئة عملها للفقراء ، مفتوحة الابواب لكل من

أراد أن يأكل أو يشرب ، ومثلاً بالأميا ، ومثلاً بمصر ، هذا خلاف
مراتب سنوية تقدم للمجامع الأزهر الشريف ، ومثلاً ترسل مكة المكرمة
وهذا وهذا خلاف مراتب شهرية لعائلات عظيمة اخني عيها الدهر ،
وهذه الصفات العالية والأخلاق الكريمة . لم تتعد شخصه . فانه من عائلة
عددها كبير جداً ، ولكن كان هو زهرتها الوحيدة . لا ثاني له فيها ،
واذ كر انه لما مرض امراض الاخير . أشارت عليه الأضياء بالسفر الى أوروبا
فسافر وكان اذ ذاك رئيس مجلس شورى القوانين ، فأخذ معه معية تليق
بقدره ، حيث كان في معيته شيخ من الأزهر . عظيم القدر اسمه الشيخ قراعه
(وهو الذي كان اخيراً مفتياً للمدار المصرية) ومملو له اسمه على وتر جان اسمه
موسى بك شكرى ، فأشتد المرض عيه بأوروبا ، فبحث عني في كل الجهات
التي كان يعرف اني معتاد التوجه اليها . اني ان عرف اني موجود بخفيف .
فأرسل لي تلغرافاً يقول فيه ان المرض اشتد عيه وانه يريد ان يكون
سوية بخوابته تلغرافياً اني حضر طرفه ، فرد عني انه بود الحبي ، عندي
بخفيف ويرجوني انتظاره ، فأنتظرته حسب الامر الى ان حضر ، فمارأته
حزات حزناً شديداً . لاني وجدته خيلاً ايسر الا ، وحنانه لا يستوجب
الاطمئنان . راناً فتمت يده وسألته عن صحته ، فقال كما ترى ، وركبنا
سوية وتوجهنا الى الموكندة ، وأول عمل عمته دعوت كل الأضياء المشهورين
في كايية جنيف . وعمات كونسو ، وخبعا كن سكلام بغر نسوي ،
والمرحوم نجمل هذه اللغة ، فقالوا ان الباشا عنده مرضان ، وقد انتهت مع
الاسف ايامه ، وذا يبق له سوى ايام معدودة ، فيحسن انات تصيحه بالسفر

ابلاده حتى يقضي ايام حياته الاخيرة بين عائلته ، فكنت اسمع هذه الالفاظ
واشعر انها صواعق تمطر على رأسي ، ووجهي رغباً عن انفي يتغير من لون
الى لون ، فقمهم المرحوم سلطان باشا من غير ما اكلمه بشيء ما ، ان حالته
تندر بالخطر ولكنه لم يعلمني ، وبعد انصراف الحكماء سألتني عما قالوه ،
فقلت له وانا رابط الجأس ، انهم قالوا ان الاطباء المصريين مخطئون ، لانهم
اشاروا على سعادتك بحضوركم لاوروبا لان هواء البلاد التي هي مسقط
الرأس ، أحسن لهذا المرض في العلاج من كل علاج ، وقالوا حتى لا يتمكن
المرض زيادة يجب التعجيل بالسفر حالا لمصر ، فضحك ضحكة المستهزيء
وقال لي وهل انفسنا حتى في الموت ؟ فقلت له وحلفت له ايماناً غليظة
ان لا شيء من هذا مطلقاً ، انما احوال الجو هنا متغيرة في كل دقيقة و كل
ساعة ولا توافق مزاج رجل مضى حياته في طقس منتظم وقت الحر حر
ووقت البرد برد ، وتقلبات الجو هنا هي أكثر من كل ضرر عليك ، فدخل
في عقله كلامي هذا واعتقد ان كلامي حق ، وقال طيب وهل انت تحب
مرافقتي اذا عزمتم على العودة لمصر ؟ فقلت نعم هذا لا يحتاج الى سؤال
فقال قد حققت أملی فيك وزيادة ، وعلى ذلك قررنا السفر في اليوم الثاني
وقمنا بالفعل متنقلين من بلدة لاخرى على قدر ما كانت تسمح قوة الباشا
للسفر الى ان وصلنا بلدة جراتر ، وكانت تبعد عن تريستا خمسة ساعات .
فمضينا تلك الليلة في لوكاندة اسمها (الفينيت اوتل) وقد لاحظت
على الباشا في تلك الليلة انشراحاً لم اعوده فيه من أول مرضه ، فسررت جداً
وقالت ربما ان الله سبحانه وتعالى اخلف ظن الحكماء ، على ان سروري

وفرحي لم يدوما كثيراً ، لأن المرحوم قضى آخر نفس في حياته في فجر تلك الليلة ، ولا تسأل عما دخل علي من الغم ، خصوصاً واني لم أر في حياتي من مات امامي الا في هذه الدفنة ، ظلت برهة وانا في حالة غيبوبة لا ادري شيئاً ، واخيراً تيقظت وتذكرت ان علي واجباً عظيماً نحو فقيد الوطن ، وصديق الحميم ، يجب علي القيام به ، فاول ما فعلته ان دعوت أحسن الاطباء مهارة ، وطلبت تفسير الجثة حتى انتقلها لمصر . ثم كتبت عنه بالجرائد الاوروبية ما كان جديراً به ووفيته حقه ، وبعد ذلك ابرقت للخديوي توفيق ان المرحوم سلطان باشا توفي لرحمة مولاه ، وانا حاضرون بالجثة بمد ان صار تحنيطها ، كتبت هذا وكنيت اخشى كثيراً ان عوامل الحسد الشديد التي كانت في قلوب الجراكسة والأتراك صده ، ربما تمنع اخذه لمصر لأنهم كانوا ينفضونه جداً ، ولا ذنب له سوى كونه على قولهم فلاح ، ولكن منزلة المرحوم سلطان باشا كانت فوق كل ذلك . - ثم حررت انمغرافاً آخر للمرحوم نوبار باشا من هذا التمييز عينه ، فورد لي تفراف من الجنب الخديوي يشكرني فيه على العناية التي بذتها نحو فقيد . ويأمرني بان اقوم بالجثة مرافقاً لها الى مصر . - وورد لي تفراف من المرحوم نوبار باشا مثله ويقول ، انه في هذه الظروف لربما يكون لازماً اني نقدياً لالتزام المأمورية وعلى ذلك انه امر بلوم باشا وكيل المالية ، وكان وقتها مقيماً بالاجازة في فينا ، ان يحضر اطرفي ويكون تحت امرى في كل ما يلزم لي من التمود ، فشكرت دولته على هذا الالتفات العظيم والعناية تكبرى ، وفعلاً حضر عندي بلوم باشا وطلبت ثمانية جنيه لانه كان معي مبلغ آخر يكفي مع هذا ،

وتركت مصيفي باوروبا، وتركت الحمامات التي كنت قد قررت لها لصحتي،
وتركت كل علاج وقمت بكل سرور لأؤدي واجبي الأخير نحو البطل
العظيم، نعم لأن هذا الرجل الجدير بمحبة الوطن وبنيه، مهما فعلت من
الخدم لا يمكنك ان تؤدي له ذرة مما كان يفعله للوطن، وفوق ذلك
محبتى الشخصية لاني كنت اعتبره بعفة الوالد لي

اقول هذا بعد وفاته لست منتظراً عن ذلك اجراً ولا شكراً انما
واجب الذمة يقضي على الاعتراف بالجميل

قمت بمصر وكلما تخيلت المرحوم امام نظري، كان يشتد حزني ويفيض
دموع عيني رغم اني، حتى وصلنا الى ميناء الاسكندرية حيث كانت
الحكومة بأمر الخديوي ونوبار باشا، قد أعدت مشهداً فخماً لائقاً بقدره لم
يسبق له نظير — وبين هذا المشهد كانت موجودة أفراد عائلة الفقيد من
كبير وصغير وبعيد وقريب، ولكن هل أحد من هؤلاء القوم تقدم
نحوي وسألني عما جرى أو اهتم بالسؤال كيف كانت أيام المرحوم الأخيرة
وأقواله؟ لا .. لا .. لا شيء من ذلك قط — نعم إني عملت ما علمته كما
سبق الايضاح، لما علي المرحوم من الواجب، رحمة الله عليه رحمة واسعة
الى أبد الآبدين

وهنا أكتفي بما قلته عن المرحوم — لطان باشا، مع العلم بأنني لم أوفه
حقه تماماً

وأما علي مبارك باشا، فانه كان عالماً من خول العلماء منكباً دائماً
وأبداً على التأليف النافع للبلاد، وكتب كثيراً من الكتب النافعة المفيدة،

وكان ميالا لرقى المدارس وتقدمها ، ومصلحاً كبيراً لنظامها ورقيا ، كما أنه كان أكبر مصلح للري ونظامه ، حينما تقلد نظارة الاشغال العمومية - فالرجل كانت كل حياته موقوفة للمجد في العمل النافع بالعلوم والمعارف وأظن أن أرض مصر لم توجد عالماً خدّم العلم أكثر منه ومن المرحوم رفاعة بك العالم الشهير الذي شهرته تغنى عن كل بيان وتحرير

وفي عهد الخديوى توفيق حدث ان قد حصل تحارب بين النيل لم يسبق له مثيل في احدى السنين فكتبت وزارة الاشغال للدايرة السنية تطلبها انه غير متيسر نظراً الى ما وصلت اليه حالة النيل من الانخفاض أن تزرع الدايرة السنية صيفي سواء كان قطناً أو قصباً في ذاك العام ، فقامت وقعدت الدايرة السنية لهذا الخبر ، وكررت الالاحاح على وزارة الاشغال لبحث طريقة تسمح بزراعة الصيفي ، حيث بدون ذلك تكون الدايرة سائرة في طريق الافلاس ، بعد أخذ ورد صويلين قررت نظارة الاشغال أن تسمع للدايرة السنية بزروع الصيفي بالشروط الآتية :

(١) بما أن المياه في هذا العام ستعطى بالميزان اسبب قلمها ، فيجب الحرص عليها ، والحفاظة على استعمالها في الغرض المقصود . حتى يتيسر الوصول لنتيجة مرضية

(٢) يجب أن يختار من الدايرة السنية موظف ذو نفوذ ونشاط ويقتطع ليكون ملازماً مغمض الري في توزيع المياه ومراقبة استخداماتها كارشادات المغمض (وكان المغمض اذ ذاك رجلاً عالماً عظيماً من علماء هندسة الري وهو المستر براون ، الذي كان وكيلاً له زمناً صويلاني تفتيش

الري معالي اسماعيل سرى باشا) فقبلت الدائرة هذه الشروط ، واختارت الداعي وكلتني بهذه المأمورية وكتبت لى جوابا رسمياً من مجلس الدائرة ، يلقي فيه تبعة هذا الامر المهم على ، وبعد ان استلمت الخطاب المذكور دعاني ناظر الدائرة السنية وهو المرحوم فريد باشا وقال لى ، انك وان كنت استلمت خطاباً من المجلس يلقي على عهدتك تنفيذ امر مفتش الري ، الا انى بطريقة خصوصية احب ان لا تنفذ له امراً ، وان تما كسه فى كل أعماله ، فاندعشت اندهاشاً كلياً ، وقلت له كيف ذلك يا باشا تلقى على عهدتي مأمورية بخطاب رسمي ، وتريد ان افعال ما يوقعنى فى المسؤولية ، الامر الذي لا يتفق مع شرفى بكلام غير رسمى يحسن اذا كان غرضك هكذا ان تنتخب آخر بدلاً عنى نخاف ودخات عليه الوسوس كثير أخشى ان انقل كلامه للمجلس واخيراً قل لا يصلح خلافك لهذا الامر المهم ، وكلامي هذا كان على سبيل الامتناع

واخيراً قت وتوجهت للمأمورية ولازمت انفتش ليلاً ونهاراً وقت بجميع ما طلب منى تنفيذه ، وكنت لا انام الليل ولا ارتاح النهار حتى نحصل على النتيجة المرغوبة ، وكنت قاسياً جداً على المستخدمين الذين يهملون تنفيذ التعليمات ، فكانت نتيجة أعمالنا نجاح لا يقدر ، فق كثيراً فى نتائجه السنين التى سبقت وكانت المياه فيها فيضاً عظيماً ، مما اوجب سرور وزارة الاشغال سروراً عظيماً ، وعلى الاخص امستر براون مفتش الري الذى كتب لوزارة الاشغال خطاباً يقول فيه ان النتائج الباهرة التى تحصلنا عليها فى نجاح زراعة الدائرة السنية فى هذا العام بعد ان كان مقررراً عدم زراعتها

لشدة انخفاض النيل . انما يعود الفضل فيها الى (قليني بك) الذي سهر
ببساطة تامة على تنفيذ ارشادات الهندسة بالدقة التامة بدون ان يعطي لنفسه
راحة مما يستوجب تهنته عليها ، ولا اخفى على الوزارة ان تعليماني هذه
سبق ان اعطيتها اعمال الدائرة السنية في السنين الماضية وكانت سنين
فيضانات عظيمة ، ونظراً لعدم قيامهم بتنفيذها لم تأت مزارعات الدائرة
السنية بمائدة تذكر بجانب فوائد هذا العام ، وذلك كله بفضل وجهودات
ويقطة قليني بك

وعلى اثر هذا الخطاب . حررت نظارة الاشغال خطابين احدهم (الداعي)
تهنئتي فيه وتشكرني عما قمت به من الاعمال الباهرة في سنة من هذه السنة .
التي اتت بفوائد لا تقدر والثاني مجلس الدائرة السنية ، كما كنت قد عاينته على
قليني بك ذاكرة فيه الجهودات العظيمة التي قام بها . وكان من نتائجها حصول
الدائرة على تسيحة فوق ما كان ينتظر

فغضب لذلك ناظر الدائرة السنية غضباً شديداً على اني كنت
انتظر ، وانا امثله في هذه الاعمال . ان يشجع قلبه فرحاً وسروراً عندما
يسمع الشاء على موظف كان يمثله ، ولكن الالف ترجم الامر بخلاف
ذلك ، وقال ان قليني بك يسعى للاتحاد والارتباط بمرجل الانجليز لغرض
واحد ، وهو استعاضتي من وصيفتي لاختذها لنفسه كلام غريب في بابه .
وفكرة سخيفة ، كان لا ينتظر ان تصدر من رئيس مصلحة مثله ، ولم اري
المنافر يزداد باي وبينه لهذا السبب ، دخلت عليه يوم ماوقدت له . لاجل ان
اربح ضميرك وابعد عنك وساوسك . ارجو ان تدخل مجلس

وتطلب منه احوالى على المعاش ، ففرح لهذا الخبر كثير أو قام في الحال ودخل عند زميليه اعضاء المجلس ، وهما مسيو جلوساك ومسيو هاملتون لانج . وقال لهما ان قبيني بك التمس مني بالخاح احواله على المعاش ، فاستغربا هذا الخبر وقالاه ، كيف يقوم لنا باجل الخدم وتكافئه بالا حالة على المعاش . لا بد ان تكون اغضبته يا باشا . فدعه ولنامعه شأن وستكون علاقته مباشرة بيننا ، لاننا في حاجة اليه ، فلم يمكنه يعارضهما وقام وطب شاكر باشا الذى كان وكيل الدائرة السنية وقص عليه الامر ، وقال له والآن وسيعلم قبيني بك خطتي نحوه وعطف المجلس عليه فيكون موقتي امامه صعباً . فحب انك تزيل من ذهنه كل اثر ضدى وتستدعيه معك لنتفاهم ، حتى في بقاءه نكون على اتفاق ، نخطبني في ذلك شاكر باشا فقلت له يا باشا . لو علمت ماذا قل لي عند توجهي لهذه المأمورية ، وعلمت كيف قبل خطاب الشاء على مجهوداتي ، لعذرتي اذا كنت قلت له لا اريد البقاء في الخدمة فطيب خاطري شاكر باشا كثيراً . وكان الرجل عظيماً ووقوراً ، فاكتفين ان قبلنا فريد باشا ونصا نحنا ولكن ظلت اعمالى مرتبطة بالمجلس مباشرة

تلك احدى المسائل التى حصلت في زمن الخديوى توفيق . ومن نوادر اللطيفة عندما كان رئيساً للوزارة ، انه كتب خطاباً لناظر الدائرة السنية (المرحوم فريد باشا) يأمره فيه ، بنقل دانينوس باشا من وظيفة ناظر اشوان الدائرة باسكندرية الى وظيفة وكالة الدائرة السنية بمصر ، وفريد باشا كان رجلاً مرموقاً بالغرور ، وظن انه يمكنه يستخدم ذلك الغرور مع أي كان ، فرد على دولة نوبار باشا بما يأتي « افندم ، تشرفت بورود

امركم القاضي بنقل دانيئوس باشا الى وكالة الدائرة السنية بمصر، وما كانت مؤهلات هذا الباشا لا تسمح بتقليده هذه الوظيفة . فأنا آسف من عدم امكاني تنفيذ هذا الامر »

فعندما وصل لدولة نوبار باشا هذا الخطاب ، كبر على دولته هذا الامر جداً وراه مجرداً عن اللياقة والادب والطاعة فعقد لوقته مجلس الوزراء وطرح عليه المسألة ، فتقرر بالاجماع عزل فريد باشا وتعيين شاكر باشا الذي كان وكيلاً للدائرة السنية ناظرًا لها بدلاً عنه وتعيين دانيئوس باشا وكيلاً له ، وكتب نوبار باشا خطاباً لفريد باشا يقول له فيه : « وصلتني مكالمتكم وحقاً ان رجال الغير اكفاء لا يليق تكليفهم بوظائف يعجزون عن اداء واجباتها . ومن هذا القبيل رأى مجلس الوزراء عدم اهيتكم للمركز الذي تشغلونه وقرر عزلكم وتعيين شاكر باشا بدلاً عنكم ودانيئوس باشا وكيلاً له وهذا اخطار لحضرتكم

ومما حصل أيضاً في عهد الخديوي توفيق ، ان اللورد كرومر استحوذ واحتكر "نفوذ المطلق في الحكومة المصرية ، فكان في وقت من الاوقات ، الحاكم "تعالى الاكيد . والامر "الذهي ، مما جعل هيئة النظر في حكم "المدم ، وما كان اذ ذل الرئيس "النظار المرحوم نوبار باشا الذي كان ممتثلاً علماً وذكاء وعظمة وكبرياء وأتفة لا حد لها ، عز عليه أن يكون ناظرًا مذلولاً . وما كان له صفة صداقة تامه ببعض كبار السياسيين العظام في أوروبا . وكانت له منزلة عظيمة بينهم ، نالها عن كفاءة واستحقاق ، قام وقصد لندن ، وتقابل مع كبار رجالها . وأخص بالذكر منهم اللورد سالسبري

والمستر غلادستون ، على ما أتذكر - وعرض عليهم الحالة ، وقال لا يمكن لأي نظارة مصرية أن تقوم بواجبها طالما أن اللورد كرومر مسيطر على جميع المصالح وأعمالها ، والاتفاق بينه وبين النظارة ليس متيسر ، لأنه يريد أن تكون النظارة آلة تنفيذ لأوامره ليس إلا ، فإن أرادت الحكومة البريطانية أن تشتغل معناه بحجة وإخلاص ، فارجوها أن تسحب اللورد كرومر ، وتستعيضه بمن تشاء خلافة ، وظل يقنعهم بأدلة وبراهين على ضرورة ذلك إلى أن اقتنعوا ، فقالوا له ، إذا كان الخديوي متفقاً معك على ذلك فنحن مستعدين لسحب كرومر وتعيين خلافة - وكان يعلم المرحوم نوبار باشا أن الخديوي متململ من أعمال اللورد كرومر الذي أفقده كل نفوذه ، وأنه يود الخلاص منه - فأجاب نوبار نعم ، إن الخديوي متفق معي على هذا ، فأرسلت الحكومة تلغرافاً تستفهم فيه من الخديوي ، فكان جواب سموه خذلان لنوبار باشا ، حيث قل أنه راض تمام الرضاء لوجود اللورد كرومر ، ولم يكن من دواع تستدعي تغييره ، فسقطت مساعي نوبار باشا بأكملها وخجل الرجل خجلاً كبيراً ، ولكنه احتمل بصبر هذه الصدمة الغير منتظرة وعاد إلى مصر ، وبعد عودته بأيام قلائل كان سائداً فيها الفتور بينه وبين اللورد كرومر ، وقد لاحظ ذلك الخديوي ، فأراد الخديوي أن يكسب كرومر وأن يخرج الحالة من هذا المأزق ، فأصدر قراراً بعزل نوبار باشا ، فكان هذا فوزاً لكرومر ، ولكن نوبار باشا وهو صاحب الدهاء العظيم ، لم يمكث طويلاً خارجاً عن الحكومة ، بل عرف كيف يزيل ما بنفس كرومر من جهته حتى استدعاه ثانية لرئاسته النظارة



﴿ علي مبارك باشا ﴾

وهنا أكرر القول ، بأن رفاعة بك وعلى باشا مبارك ربما كانا هذان العظيمان ، هما الفردان الوحيدان اللذان قلما بهتة العلم في مصر ، واندشار المدارس ، وتشقيف العقول ، ودوام اشرافهما على التعليم ، فضلاً عن قيامهما بتأليف جملة كتب خدمة للعالم ، وتربيتها لكثيرين من الطلاب الذين فاقوا الاقران في جميع أعمالهم ، كالمرحوم قدرى باشا الذي له فضل عظيم على العلم لا يحصى ، ومجدي باشا ومحمد عثمان جلال بك ومسطفي بك رضوان وكثير غيرهم ، مما لا تعي ذاكرتي أسماءهم ، وكان يجدر بمصر تخليداً لذكر هذين البطلين العظيمين أن ينسب لهما تمثالان ، على أنني لا أنكر أن الذي شجعهما على هذه الأعمال الجليلة وساعدهما بالمال الوافر والمكر الثاقب للوصول الى تلك الغاية هو الخديوى اسماعيل اذ يرجع الفضل كله اليه لأنه كان مولعاً بالعلم وذويه ومجداً في انتشاره في بلاده ، معضداً له بكل الوسائل

والخديوى توفيق له مآثرة عظيمة لا يجب اغفالها ، تلك المآثرة هي مدينة حلوان ، التي يقال بحق انها صنع يديه ، لأنه وإن كان الذي وضع أساسها هو المرحوم الخديوى اسماعيل . حيث أقام بها الحمامات المعدنية التي لها من المزايا ما لا ينكر . واندهر لم يمهله لتمامها . فالخديوى توفيق تخليداً لذكرى أبيه ، وحباً في العمران . وخدمة الانسانية قام بجهد واجتهاد في تكوين مدينة حلوان ، التي كانت في عهد أبيه لا يوجد بها إلا الحمامات وفندق واحد ، وربما عد من المنازل لا يتعدى خمسين بيتاً ، فجعلها مدينة عامرة ، ربما أصبح بها الآن ما ينوف على الالف منزل . وخلف فيها "شوارع" عظيمة ،

وغرس فيها المنزهات وأوجد بها المياه والنور - فالفضل كل الفضل راجع له في تكوين هذه المدينة العظيمة وعمرانها، لأنها قائمة بخدمة الإنسانية خدمة لا تقدر، حيث يقصدها كثير من سكان ممالك أوروبا في فصل الشتاء للاستحمام بمياهها المعدنية الشافية، رحمه الله، رحمة واسعة

وانى اقتصر هنا على ذكر بعض ما علق بذهني في عهد المرحوم الخديوي توفيق لاني في الحقيقة لا اقصد تحرير تاريخ لمصر وما جرى فيها أو تاريخ عن مجموع ما جرى في حياتي بأكملها، بل قصدت ذكر أشهر الحوادث على حقيقتها لاني اكتب كما قلت مشاهدته بعيني أو عملته بنفسي ليس الا على سبيل التذكير لما جرى في عهد حياتي مقددا بذلك غيرى ما



سمو الخديوي عباس حلمي باشا

مذكرات

في عهد سمو الخديوي عباس حلمي الثاني

سمو الخديوي عباس حلمي الثاني هو بالاجماع ذكي ذكاء منفرطاً ، لطيف المقابلة يسحر بلطف بيانه جميع زائريه ، حتى مبغضيه ، كثير النشاط والحركة ، لا بكل ولا يمل من أي عمل ، حاضر الذهن ، يفهم من وجهت ماذا تريد منه ، مغرم بالحقول والمزروعات بجميع انواعها ، ميل لتربية الحيوانات ، محب للاستفار ، تواق للاشتغال في كل ما يعود منه نفع مالى ، وكان منهمكاً في المسائل السياسية المرتبطة بالخلافة ، ضامع في ان يكون يوماً ما خليفة للمسلمين ، أعنى ينقل الخلافة من السلطنة العثمانية للمندوبية المصرية

ولا ننكر بهذه المناسبة فضل الانكاز في نظام قوانين البلاد والاعمال الحيدة التي اتاها بعضهم ونخص بالذكر منهم كرومر وملر وغورست وبائر ومنكرينف واسكوت وهاملتون لانج وموني وونجت والنبى وكثيرون . هؤلاء الرجال الذين تولوا أكبر المناصب العالية ، بعضهم فائزين عن الدولة الانجليزية بمصر . وبعضهم موظفين بالحكومة المصرية قاموا بخدمة جليلة جداً لمصلحة البلاد ، يطول الشرح اذا اردت بيانها وتمهيداً ، وأخص بالذكر كرومر وكثيرون ، اما الشخص الوحيد الذي كان شريكاً في اعماله يود الضرر لجميع الناس من بين الانكليز هو المستر ماشل انس ، الذي كان

وكيلا لنظارة المالية المصرية ولذا كان مبغوصاً مكروهاً من الجميع ، سواء كانوا مصريين او انجليز ، حتى ان اللورد كرومر لما لاحظ ذلك امر بطرده من خدمات الحكومة المصرية باهانة وازدراء ليس عليهما من مزيد

تولى سمو الخديوي عباس حلمي الثاني، عرش الخديوية المصرية بعد وفاة والده المغفور له الخديوي توفيق في عهد وزارة مصطفى فهمي باشا التي بادرت باستدعاء سمو الخديوي عباس من المدرسة التي كان يتلقى العلوم فيها بفينا ، فحضر على جناح السرعة وعمل له احتفال باهر بقدومه وجلسه على عرش آبائه واجداده ، وكان اذ ذاك يناهز الثامنة عشرة من عمره ، فمجرد جلوسه على كرسي الخديوية اظهر شغفا زائداً بحب السلطة والتدخل في شؤون الحكومة وهو الذي ابدع ان يكون مجلس النظارت تحت رئاسته في كل انعقاد يعقد حتى يكون ملماً بجميع المسائل ، وقد زين له الحزب الوطني الذي كان يرأسه مصطفى باشا كامل وقتها بانه من الممكن اخراج المحتلين من البلد بواسطة ما يبذل من الماسعي والمال ، ويكون الخديوي حراً في بلده مثل جده اسماعيل يفعل ما يشاء بدون قيد ولا شرط ، كحازين له الشيخ محمد عبده ، ومن كان على طريقته ، ان يكون خليفة المسلمين ، فبذل مجهوداً عظيماً لتنفيذ تلك الاوهام بل وصرف اموالاً طائلة بحيث ضاعت عليه مجهوداته ومساعدته في هذا السبيل بأكملها ، التي ما كانت الا وسيلة قسدها انحيطون به ، انتفاعهم الشخصي وقد وقع في عهد سمو الخديوي عباس حلمي الثاني كثير من الحوادث اذكر منها ، مسألة قلب الوزارة النهمية ، ومسألة الحدود ، ومسألة نفى غبطة البطريرك الراحل . والمؤتمران القبطي والاسلامي وغير ذلك

وزارة مصطفى فهمي باشا

فمسألة المرحوم مصطفى فهمي باشا هي : - كان هذا الوزير العظيم على رأس الوزارة حينما تولى الخديوي عرش الخديويه . وكان رجلاً رقيق الاخلاق ، كاملاً ، مؤدباً ، ذكياً ، متواضعاً مع حفظ كرامة النفس . هادي الطباع جداً . محبوباً عند العقلاء . مكروهاً عند الجبناء . لا اعتقده انه مع الانكليز ، فدخل في ذهن الخديوي ان هذا الرجل انكليزي الاخلاق بالبره ، وانه صنيعتهم وعدو الوطن وانه ... وانه ... الخ ، فإراد الخديوي ان يتخلص منه بعد ان اتفق على ذلك مع المرحوم بطرس باشا غالي وتجران باشا ، فانتزعت فرصة مرض المرحوم مصطفى فهمي باشا الذي كان ينتظر وفاته من يوم ليوم ، وكان الرسول الخبر له عن حالته الساعة تلو الساعة هو محمود شكري باشا الذي كان رئيس الديوان التركي بالسراي - كان هذا الباشا يكرر الزيارة ومباً مصطفى فهمي باشا متظاهراً بالحمية والاخلاص للوزير وباشا كان ينتظر ان يكون اول مبشر للخديوي بوفاته مصطفى باشا ، وما يشعرون من عدم وفاته ونظروا ان صحته اخذت في التقدم الى ان دخل في دور "شفاء" ، رسل الخديوي محمود شكري باشا ليخبر مصطفى باشا ان صحته تستلزم الراحة زمناً طويلاً ولذلك اشر عليه ان يقدم استعفاه لانه صمم على تشكين وزارة جديدة . فكان جواب مصطفى فهمي باشا محمود شكري باشا ان جناب الخديوي شاب لا يمكن حاصلاً عن تجارب كافية ، وخشى عليه كثيراً لاني محب الياب الخديوي فاستجده ان لا يمس امره

الأ باستشارة وإرشاد اللورد كرومر، فكبر على الخديوي ذلك وزاد اعتقاده أن الرجل صنعة الأنكليز وبغضه زيادة عما كان يبغضه، والفضل في ذلك لمحمود شكري باشا، لأنه هيج الخديوي كثيراً بأقوال لم تصدر من مصطفى فهمي باشا، فأصدر الخديوي بدون استشارة كرومر دكرتو بإسقاط نظارة مصطفى فهمي باشا، وتشكيل نظارة جديدة برئاسة نخري باشا وعين فيها المرحوم بطرس باشا وتجران باشا ناظرين، فقام اللورد كرومر وقعد لهذا العمل، وأمر في الحال بإسقاط الوزارة الجديدة وإعادة النظارة القديمة، فأصبح مركز الخديوي مهدداً مهاناً، وانكر تجران باشا وبطرس باشا تدخلهما مع الخديوي وأنها لا يعلمان شيئاً، وتوسطا لدى كرومر ملتجئين إلى ساهل في الأمر بمعنى أن يترك شيء للخديوي وينجاب شيء من طيب اللورد حتى لا يستطع تموز الخديوي بالمرّة، وأخيراً قرأ الرأي بعد أخذ ورد طويلين بعزل رئيس النظارة الجديدة نخري باشا، وأن يحل محله رياض باشا الذي اختاره كرومر وانقضت المسألة على هذه الصفة ولكنها اُبقيت في النفوس شيئاً. ومع هذا فقد ظن الخديوي أنه فاز فوزاً عظيماً، وأوعر بواسطة رجال المعية رؤساء المصالح وأعيان البلاد وأهاليها، على تقديم التهنئة للخديوي، فتوجهت وفود كثيرة إلى أبادين وأنا من بينهم، فدخلت ضمن وفد كثير العدد من ذوات القطر وموظفيه، فاستقبلنا الخديوي بوجه فرح، وصدر منشرح مما يدل على أنه مسرور من عمله الذي قام به، وأنه نال شبه انتصار في سياسته وكان يحدث القوم بدون مبالاة. قائلاً هل أنتم مبدسون؟ «نعم يا أفندينا ربنا يطول عمرك»



(حسين نخري باشا)

هكذا كان جواب جميع الحاضرين ، وعلاوة على ذلك كان البعض يقول
« يا أفندينا ربنا كتب ان خلاص البلاد على يدك ، مارأينا هذا الحماس وحب
البلاد واهلها صدرا من غيرك . ربنا يخليك ، ويطول عمرنا »

وكثير من الفاظ النفاق والتملق المعتاد عليها أهل بلادنا ، الذين يقولون
هذا القول وبمجرد خروجهم من الحضرة الخديوية كانوا يقصدون سراى
كرومر ، ويلتمسون التشرف بالمقابلة ويقولون

« لو لا وجودك فى بلادنا عرفنا نخرج من بيوتنا ، وكنا سحذنا العيش »
وهكذا كانت صفات بعض اهالى البلاد ومملقيها ، وربما كان ذلك ناشئا
من الذل الذي قاسوه من حكم الاستبداد القديم الجائر ، والمظالم التى لا تحصى
فلهم العذر فى ذلك

وعند مصافحتى للخديوى فى ساعة الخروج ، استوقفتنى امامه لحظة
ويده فى يدى وسألتنى - لم باتكلم - وما رأيت ان اخصى - انا اعرف
فيك انت حر الفكر ، ولا تخشى ان نبذى رأيت بصر احة ؟

- فقلت يا أفندينا ، ان رأي مخالف لرأي الجميع ، فان سمع مولاي
بالكلام فاقول

فقال نعم

فقلت يا أفندينا انه كل ما صار لا يفيد البلاد بشيء - ولا يفيد
أفندينا بشيء مطلقاً ، وغاية ما هناك يوجد شيئاً فى النفوس ، ربما ينتج
عنه تأخير بعض الإصلاحات النافعة للبلاد ، ومثل هذه الاعمال لا تخرج
الا نكاي من بلادنا ولا تخرج الاحتلال من عندنا ومصر باكمها وجميع

قواها ، كما يعلم أفندينا ، لا يمكنها تقف في وجه دولة الانكليز ، واذا كنا مسلمين بأن الاحتلال الانجليزي باق في بلادنا ، فكل عمل عدائي معهم يضر بمصلحتنا ، واذا فُلذِي أُشير على أفندينا به هو ان يكون أفندينا واللورد كرومر على صفاء واتفاق تامين للعمل معاً في مصلحة البلاد ، وبدون واسطة النظر — والنظار بعد الاتفاق بين أفندينا واللورد كرومر على اى امر يتلقون الاوامر من أفندينا مباشرة اولى من استبعاد أفندينا عن اللورد كرومر ، والنظار يتفقون معه على كل شيء سواء رضي أفندينا ام لا يرض ، وفي النهاية يقبل مولاي بعملهم ، التوقيع على الاوامر وهم الذين ينفذون نحر العمل عند المحتلين ، ويقولون ، تعينا كثيراً مع الخديوي حتى اقنعناه بكذا وكذا ، كأن أفندينا وجدعة لتقربهم من المحتلين . وواسطة اثبات اقدامهم في مناصبهم وهكذا . . .

فطرق أفندينا برأسه مفكراً وقال « نعم عظيم جداً واحسن طريقة في الاحوال الحاضرة الا اني ارى ذلك ثميل على نفسى »

فقلت ، لأفندينا — اذا كان الامر كذلك ولا يقبله أفندينا ، يوجد امر آخر وهو جعل مناصب "النظار" مناصب شرف لا يتعاطى عنها مرتب سوى مصاريق انتقال قدرها اربعون جنيهاً في الشهر كما الجارى في سويسرة وبعض ممالك اوروبا . وهذه الطريقة يمكن العمل بدون دسائس لان الناظر الذى يتقاضى مرتباً ضخماً يعز عليه حيثذاك ترك مركزه فلذلك يسمى جهده للثبات في وظيفته بسبب ذلك المرتب ، ولو باع في سبيل ذلك ، البلاد ومن فيها

فقال — هذا صحيح وهذا الرأي يعجبني جداً، ولكني هل اصل الى تحقيقه ؟ حيث كما تعلم ان هذه المراتب الضخمة جعلت للنظار كثر من اشتراهم الاحتلال الانكليزي به ليكونوا خاضعين لارادته فقلت — يا مولاي لا ارى حلالا لشكال الا قبول أحد هذين الامرين ، وأستأذنته وانصرفت واتذكر ان كثيرين ممن كانوا معي لا موني او ما شديد أعلى جرائتي وصرا حتى بهذه الطريقة مع الخديوي فضحكك ضحكا عاليا مستهزئا وتركتهم غير مكترث باقوالهم وقلت لهم لو بطل التملك لرأينا الحسكاه تنصلح حالهم، اذ لم في أوروبا تربي الحسكاه وتهذب أخلاقهم وتقوم اعوجاجهم وتعلمهم كيف يسوسون البلاد — ونحن مع الأسف نفسد أخلاق الحسكاه بدوام ثقتنا الكاذب وثفاقنا الزائد، وهذا مما أوجب خراب البلاد وذلك كيانها مع الأسف ، فكونوا كما تريدون واتركوني أكون كما أريد

.....

حادثة الحدود

كان الخديوي عباس - كما قلنا - شاباً متحمساً عندما جلس على كرسي الخديوية المصرية ، وكان محاضراً بدعاة الحزب الوطني ومتشبعاً بأفكارهم وكان قنصل عام فرنسا في ذلك الوقت المدعو الميود دي ريفر سوه دواماً يشجع الخديوي في كل فرصة يراه متحمساً فيها ضد الانكليز ، ويؤكد له ان دولة فرنسا في ساعده مستعدة لتعظيمه في كل ما يطلب منها ، فطمع الخديوي في هذا القول ورأى فيه استئناساً عظيماً ، ولذلك عندما قصد الحدود واستعرض الجيش الذي كان هناك ، عاب عليه بعض الحركات فامتعض من ذلك اللورد كنشتر والسكن لم يظهر امتعاضه بل كتم في نفسه الامر وبادر فبلغه الى اللورد كرومر ، فعند ما بلغ ذلك اللورد أقام الارض وأقعدھا وخابر وزارة الخارجية الانجليزية وتحصل منها على تصريحات فيما يفعل في هذا الموضوع كما أراد

في أثناء ذلك قام الخديوي من اسوان ماراً بالمديريات التي في طريقه الى مصر الى أن وصل الى مديرية القيوم . وفي أثناء وجوده فيها قصد اللورد كرومر دولة رياض باشا وقال له ، اما أن يعلن الخديوي شكره للورد كنشتر وثناءه للجيش ، وأما أن لا يعود الى مصر ، فكبر الامر على رياض باشا جداً وقال له ، كيف ذلك هل لم يكن من حق الخديوي ، وهو الرئيس الاعلى للجيش أن يوجه انتقاداً اذا رأى ذلك ؟ فقال له اللورد انه لم يقصد بما فعله الا الخط من كرامة الانجليز الذين هم أساتذة الجيش

المصري ، وعينه فنعد ما حصل منه اهانة الدولة البريطانية ، فقال له المرحوم رياض باشا ، اترك لي الامر وانا اسوي المسألة بما يرضيك عند عودة الخديوي لمصر — فقال لا يمكن أن يعود قبل أن يجيئني على ما صلبت. فوقع رياض باشا في حيرة كبيرة ، لأنه استنجد من كلام اللورد ان مركز الخديوي مهدد ، فأراد أولاً أن يفهم فنصل عام فرنسا ويستطلع رأيه في الامر . فعند ما قابلته تغير الرجل تغيراً كبيراً ، وقال لرياض باشا ان الخديوي أخطأ فيما فعل ، وأن دولة فرنسا لا يمكنها التداخل في ذلك — فقال له يا جناب القنصل كثيراً ما قت للخديوي بان فرنسا في عنذك والآن تبرأ كلية ، وأرى أن في أقوالك المشجعة للخديوي ما دفعه الى هذا الامر — فقال أنا كلمت الخديوي عما اذا كان يوجد سوء تفاهم بسيط في مسائل جزئية ، انه بواسطة ودية يمكننا تسويتها بهذه الكيفية هرب الرجل من كل ما وعد الخديوي به

امام هذا لم يكن امام رياض باشا الا احد امرين اثنين ، اولهما ان يرفض اجابة طلب اللورد كرومر ولا يذهب الى التقيوم ، فيترتب عن ذلك ضياع العرش من الخديوي — والامر الثاني هو أن يتوجه للجناب الخديوي ويشرح له الحالة من اولها الى آخرها ويستميله الى تسوية المسألة فبذلك يحفظ العرش ويخدم الوطن ، فالرجل رجح منسحة الوطن ومنسحة العرش ان يقوم الى التقيوم بكامل هيئة مجلس الوزراء ويمرض الامر عن الجناب الخديوي ، وفعلاً قام وفعل ذلك وسويت المسألة بالطريقة المعروفة وبعد ذلك دخل الخديوي مصر وحل محتججاً بسر اي نفيه رهناً صورياً

عن المقابلات العمومية وعن كل شيء واحيراً حضر العايد بن وقيل كالاعتاد
جميع الناس وياشر الأعمال

اقول هذا لانى كنت فى ذاك الوقت بحكم وظيفتى ملازماً للمرحوم
رياض باشا ومطلماً على مجريات الامور ولا سعة مطلقاً لما قيل خلاف ذلك

المؤتمران

القبضى والاسلامى

ومن الامور التى حصلت فى عهده اينما ان المرحوم بطرس باشا تولى
رئاسة النظارة خلفاً للمرحوم مصطفى فهبى باشا، وكان اذ ذاك حائزاً لثقة
الخديوى التامة، فامكث الا اياماً قليلة فيها حتى قتل يد ائيمة - والاقوال
كثيرة ومتعددة فى مقتله - فمنهم من نسب مقتله لفسائس من بعض النظار
الحاقدين عليه، ومنهم من نسب ذلك الى بعض رجال السراى والله اعلم
بالحقيقة - فظهر الخديوى عتقاً كبيراً عند قتل المرحوم بطرس باشا على
عائلته حتى انه خلافاً للتقاليد حضر بنفسه منزل بطرس باشا وعزى عائلته
كما وانه امر حرمه المصون بأن تعزى حرم المرحوم بطرس باشا فى منزله
وهذه رعاية لاتعادلها رعاية

حدث ان مقتل المرحوم بطرس باشا كان فى عهد السير غورست
مندوباً عن الدولة الانجليزية بدلاً من اللورد كرومر، وقد كان الخديوى

ممتلئاً غضباً وخنقاً ضد السير غورست فأراد أن ينتهز هذه الفرصة للانتقام منه مع أنه هو الذي اختاره أن يكون بدلاً عن اللورد كرومر وكان إذاً قد ابتعد الحزب الوطني عن مناصرة الخديوي في مبادئه فأراد أن يستخدم بعض صفار العقول من الاقباط بأن خدعهم بالقرل لهم أن لهم حقوقاً ضائعة، وهو يود معاملتهم بالعدالة أولاً أن مندوب الدولة الانجليزية واقف في وجهه، فيشير عليهم بأن يعقدوا مؤتمراً يقررون فيه طلباتهم واغراضهم ويرفعون به تقريراً لسموه وآخر للدولة الانجليزية

لم يكن الخديوي يقصد بهذا العمل سوى أن يخفق ارتباكات السير غورست يريد من وراءها استمطاعه إذا أمكن ولم يراع أن في ذلك امر يوجب الشقاق بين العنصرين فطلبت انا مقابلة سموه . والتمت أن يكون حين مقابلي معه رئيس النظر بسفته مسؤولاً عن الامن العام . فأمر بحضورى اممه وكان في حضرته كبير النظر كما طلبت فقال لى ماذا تريد يا قليني باشا . فقالت -- هن افندينا يسمح لى ان اتكلم بحرية فقال تكلم

قلت - بافندينا لا يوجد احد في الدنيا يحرق بيته بيده . فقيام الاقباط الآن بعمل مؤتمر بالصفة التي اشير بها يعد اعلان حرب على اخواننا المسلمين حالة كونهم منتمين في المعيشة وفي السراء والضراء كمائة واحدة فاخشى ان يترتب على ذلك شيء مما لا تحمد عاقبته وتكون اضراره على الاقباط أكثر من المسلمين . وانا اعرف ان كلمة من - وكم تنص على كل ذلك حتى نعيش مع اخواننا كما نعيش في هدو وسلام

قال — لا ياقينى باشا هذه مسائل دينيه انا لم ادخل ولا اندخل فيها
فقلت — يا افندينا انا لا اتكلم لا عن كنيسة ولا عن مسجد حتى
يكون العمل دينى ، انما اتكلم عن مصلحة عامة اقصد بها دوام السلام
والصفاء بين الاقباط والمسلمين . وأخشى ان هذين الامرين المرغوب فيهما
يحصل ضدهما اذا قام الاقباط بعمل المؤتمر المنشود فاذا كان افندينا لا يأذن
بعدم عقد هذا المؤتمر الذي أخشى عواقبه كثيراً ولا يحب التداخل في
أمره فليسمح لى أن اتكلم فى شأنه مع السير غورست
فقال — لا مانع عندي من ذلك

عندئذ نطق رئيس النظار بعد ان كان ساكناً وقال : — يا افندينا
أمر واقع فى البلد ، وتترك الشأن فيه لقائينى باشا مع الاحتلال ولا تتداخل
فيه السرى ولا الحكومة ، أمر يوجب الشكوك والظنون فليسمح لى
افندينا ان اتكلم فيه مع السير غورست

فقال — لا مانع ، ولكن فى الوقت ذاته اوعز لبعض من اشار عليهم
بعمل المؤتمر اذ انه ربما السير غورست يقف حجر عثرة فى سبيل عقد هذا
المؤتمر . فاذا وقع ذلك فيلزم ان يرفعوا شكواهم الى الوزارة الانجليزية
فى لندن يطعنون فى تصرفات السير غورست ، وفعلوا وقع ما كان ينتظر
وقوعه ، حيث ان السير غورست توقف فى اجابة مطلب عقد المؤتمر
فأرسلوا شكواي عديدة وتهموا فيها كثيراً على السير غورست حتى انه
فهم أخيراً ان هذه المناورات من الحديوتى . وأخيراً وصلت أوامر من
لندن تسمح للاقباط بعقد المؤتمر ، وعقد فعلاً بأسبوط ، واصدروا قراراً بما

ارادوه مما أغضب المسلمين غضباً شديداً لدرجة أنهم قاطعوا الاقباط في جميع أعمالهم فتقابل السير غورست مع الخديوي وقال له ، انا عندي علم ان الذي حرض الاقباط على هذا العمل هو سموكم . فنكر الخديوي صحة ذلك فقال له السير غورست . اذا كان ما يقوله الخديوي هو الواقع فلا يسمح للقائمين بهذا المؤتمر بالدخول للسراي ولا بمقابلتهم ولا قبول طلباتهم ، فلم ير الخديوي بداً من قبول ذلك حتى يتظاهر بان لا يد له في هذا العمل ويداري مناوراته في هذا الموضوع ، فأراد محمد سعيد باشا رأس النظارة من جهة أخرى ان يكسب عطف السير غورست عليه ويتقرب من الانجليز على حساب الاقباط فحسن للسير غورست ان يعقد مؤتمراً اسلامياً ضد المؤتمر "تبغي في اعماله - وكان ذلك ولو لا ان تولى رئاسة المؤتمر الاسلامي رجل حكيم مشهور له بعد النظر وهو المرحوم رياض باشا لترتب من جراء ذلك مذبحه بين الاقباط والمسلمين رأيت وانا الوحيد الذي ابتعد عن الاشتراك في هذه المؤتمرات ومقت وجودها ، انه اذا استمر الحال على هذا المنوال لحصل فشل عظيم وضرر كبير بالبلاد ، تضعي فيه مصالح كثيرين من "العصرين ، فعرضت الامر بحذافيه على المرحوم اللورد كاتشر الذي تولى اذ ذاك منصبه . بتصر فحجبه كثيراً فكري ورأي وشكرني شكراً عظيماً على هذه الفكرة ، ودعا من فوره زعماء المؤتمرين وامرهم في الحال بحث هذين المؤتمرين واعتبارهما كلتهما لم يكونا ، وكان امره امراً نافذاً لا يستطيع احد مخالفته . فعادت المياه الى مجاريها وحل البقاء والسلام بين "المرائى والخساء . مما اوجد

رابطه ووحدة العنصرين وتضامهما في خدمة البلاد كما يرى الآن
وانى اتباهى بكونى كنت من الذين سلكوا سبيل السلام والوئام

نفى البطريك

البطريك المتوفى كان لا شك رجلاً قديس ، صالح الأعمال ، طاهر
القلب ، بعيد النظر ، حكيم فى اقواله واعماله . محترم عند المسلمين والعنصرى
والافرنج ، وكان الانجليز يحبونه كثيراً . كما ان الخديوى كان يحترمه
جداً لصفات التى ذكرت

ونظراً لكون السيد البطريك كان قد استبعد هو والانباء يؤانس
بناء على طلب فريق من الاقباط الى ديريهما ، فلقصة الخاصة بهذا النفي
والمجهودات التى بذلها فى اعادة المطررك والانباء يؤانس من متفاهما
فيكتفى بذكر بيانها وما تخللها من الحوادث بما نشره ضمن خطابه لاصحاب
جريدة المقطم المنشور بها فى العدد الصادر فى يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٢٧
تحت عنوان

الحقيقة والتاريخ

حضرات الافاضل اصحاب المقطم الغراء

اسمحوا لى قبل كل شيء ، ان اشكركم من اعماق قلبى ، شكراً جزيلاً ،
على ما خطه قامكم السيل ، من الآيات البينات ، رثاء للحبر الاكبر ،
قداسة البابا المعظم بطررك السكرازه المرقسية والحبشة والسودان ، والمدن
الخمس الغربية ، اشكركم شكراً جزيلاً على ذلك ، وعلى روايتكم تاريخ

حياته امتلأ بالانضية والمحبة ، وخدمة الانسانية ، بما يطابق الحقيقة ، ما عدا الجزء الخاص بنفي قداسته . ونيافة مطران الاسكندرية ، فان بعض مناجاء فيه بعيد عن الحقيقة . وليس من رتى كمن سمع ، نخدمة للتاريخ . واعلاناً للحقيقة ، وان كانت مرة في بعض الاحيان ، تطوعت لبيان حادثة هذا النفي كما حدث والله على ما اقول شهيد

قلم فيما نشرتموه ، ان من فكر في نفي غبطة البطريرك الاكبر هو الجناح الخديوي . وهذا القول بعيد عن الحقيقة ، ولم يخطر السموه هذا الامر مطلقاً ، بل ان سموه كان يحال غبطة البطريرك كثيراً . ويحترمه كل الاحترام . ويعتقد في صلاحه اعتقاداً كبيراً ، وكان اذا جاء ذكر غبطة البطريرك في حديث يقول سموه لى (سيدنا غبطة البطريرك قل لى كيت وكيت) وانما الذي خطرت له فكرة نفي السيد "بطريرك" هو المرحوم بطريرك باشا غالى ، لانه رحمه الله كان يعتقد ان تربية ومبادئ غبطة البطريرك ، لا تطابق مبادئ العصر الحاضر ، وما كان شغوفاً ، بتدعيم حائثه ، ميلاً الى رفعة شأنها ، رأى بل اعتقد ان نه لايج ان يوحى ذلك . هو ابعاد غبطة البطريرك ، لى نفيه ، ونفى نيافة الانبا ياقاس مطران الاسكندرية الذى كان صديقاً لها لى السيد البطريرك ، وبسبب دائرة شؤون المطائفة الى المجلس لى

جرت عادة "مائدة" منجيه قديماً ان تخضع لمن يكون من ابناءهم متفلاً منصب حكومي رفيع ، مسموع الكلمة ، نفذ الامر . فكانت تتخذه . كبيرها وزعيمها . وقد شاهدت منذ نشأتى اربعة رعماء من هذا القميين . اولهم المرحوم وهبه بك جيراوى ، كان رحمه الله يشجاسبجى الحكومة

(باشكاتب المالية) وهو محل ثقة اسماعيل باشا المنتش ، بل وسمو الخديوي الأكبر اسماعيل باشا ، فكان اذ ذاك هو كل شيء ، وكان الاقباط يحجلونه ويحترمونه وينقادون لأى اشارة تصدر منه . وبعد وفاته ، حل محله المرحوم دميان بك ، وبعده المرحوم عربان بك ، وبعده المرحوم بطرس باشا غالى وكان رحمه الله آخر الزعماء المسموعين الكلمة ، والمحترمين عند الطائفة وبعد وفاته ، اصبح كل قبضي مهما كان مركزه ، ولو كان نجاراً او حداداً يعتقد في نفسه انه زعيم الطائفة وكبيرها

ذكرنا هنا هذه الملحة التاريخية تمهيداً لما يأتى

عندما اظهر المرحوم بطرس باشا رغبته في تهي السيد البطريرك ، التفت حوله جميع اعضاء المجلس الملى بالموافقة على رأى سعادته . ولم يتخلف احداً منهم سواي لأنى كنت معارفاً اشد المعارضه في نفى غبطة البطريرك ونيافة المطران ، ولكن تغلب رأى الاغلبية ، وبقيت انا ثابتاً على رأى ، واتذكر اسماء بعض من حضرات الاعضاء الذين انضموا الى المرحوم بطرس باشا فى رأيه وهم المرحوم سعد بك عبده ، والمرحوم مقار باشا عبد الشهيد والمرحوم باسيلي باشا تادرس والمرحوم عوض بك سعد الله ، وغيرهم من الذين غابت اسماؤهم عن ذاكراتي — واتفقوا على تقديم عريضة عن لسان المجلس الملى لسمو الخديوي المعظم يتسمون فيها ابعاد غبطة السيد البطريرك ونيافة مطران الاسكندرية . ورغب منى المرحوم بطرس باشا فى التوقيع عليها فرفضت . فأرسل الى مقار باشا وباسيلي باشا ليقنعانى فلم اسمع لهما وظلمت ثابتاً على معارضتى للنفي ، وبعد ما وقعوا على هذه العريضة بذلوا مساعي عظيمة

لدى رئيس النظار بالنيابة . المرحوم عبد الرحمن رشدي باشا ، واستعانوا بالمرحوم تيجران باشا الذي كان صديقاً حميماً لبطرس باشا . ففازوا باقناع دولة رئيس النظار ووافقهم على رفع عريضتهم للاعتاب السكرية ، وفعلاً قدم تلك العريضة للجناب الخديوي ، وبذل مجهوداً عظيماً لا قناع سموه باجابه طلب نواب الطائفة مادام أنهم يرون في ذلك اصلاح شؤونهم ، فوافق الجناب العالي على اصدار امره الكريم بذلك اجابه لاثماسهم فقط فيتين حفرة اتكم من هذا البيان ان نفي غبطة السيد البطيريك ونيافة مطران الاسكندرية لم يكن من بنات افكار سمو الخديوي ، وانما هي فكرة المرحوم بطرس باشا وكان يعتقد ان فيها خدمة لطائفته

وعقب ذلك أخذ السيد البطيريك بقوة عسكرية مسلحة مخموراً بها لتوصيله الى محل منقاه وهو دير اليراموس ، كما يؤخذ أحد المجرمين فكان يسير باش الوجه مع العساكر المرافقين له ، ويقول لهم ماذا هذا السلاح ، وهذه العدد ، وهذه القوة وأنا شيخ كبير لا قوة لي والله القادر يفعل ما يشاء ويريد ، ويعقب على هذا الكلام بالصلاة لله ان يغفر للناس سيئاتهم

تقى البطيريك وتقى مطران اسكندرية بالطريقة التي ذكرت ، فقام جمهور الطائفة وقعد من جراء تقي البطيريك الذي يعدد الشعب قدسياً في نظره ، ويركعون سجوداً لاسمه . كلما ذكر احراماً مقامه الديني والشخصه ذاتياً

وعاد عقب ذلك المرحوم مصطفى فهمي باشا من اوروبا وكان

رئيس النظارة فاضل عدم رصاد عما حدث ولا م عبد الرحمن رشدي باشا الذي كان نائباً عنه يوماً شديداً عن ذلك . ولا تمنع أيام فلاح حتى سقطت وزارة مصطفى باشا . والتمت وزارة الرحمن العظيم رياض باشا ، فكان من باكورة اعماله الاهتمام بعودة غبطة البطريرك معلناً سخطه الشديد علي نفه هو ونيافة مطران الاسكندرية حتى انه قل للمجناب الخديوي انت يا افندينا لا تملك نفى فرد بسيط من الافراد الا بحكم يصدر من محكمة ، فكيف تأمر بنفى رئيس ديني جليل المقام يمان بابا رومه ، وكيف يكون موقف سموكم لو التجأ البطريرك لمحاكم ؟ فتأثر الجناب الخديوي من هذه الالتاخذ وقل هذا خطأ الذين طلبوا منى هذا الطل ، ولكنني احاب منات يا رياض باشا العمل على عودته سريعاً معززاً مكرماً وكان المرحوم رياض باشا ثقة عظمى بالداعي ومن جهة اخرى كان معروفاً عني انني غير راضى عن نفى غبطة البطريرك ، فهذين السبين دعانى المرحوم رياض باشا وسألتني عن احسن الطرق لاعادة البطريرك موفور الكرامة ، فأجبت ان احسن الوسائل لذلك ان يتقدم الخماس لدولتكم من الهيئة التى التمت نفه ترجو فيه من الحكومة اعادة غبطة البطريرك لان فى ذلك حفظاً لكرامتهم ، وترغية لغبطة البطريرك . وعند وصوله الى محطة مصر ، يقابله كبار رجال الحكومة ، ويكون فى انتظاره هناك فرقة عسكرية لتأدية التحية وعند تشرفه بمقابلة سمو الخديوي يقبله بيده السكرية اوشاح الخيدين الاكبر . وعجب اقراحي هذا دولة رياض باشا كثيراً ، ففكره وامر بتنفيذه . واسكن لاحظت انه لم يرق فى عيني المرحوم بطرس



درین سال

س. نقطه

باشا . لكن هذا لم يكن داعياً لتأخير تنفيذ البروجرام ، فبادر المرحوم رياض باشا واصدر أوامره في الحال بعودة غبطة البطريك لثو نيافة مطران الاسكندرية واستقبالها بالمحطة طبقاً للبروجرام المشار اليه . فكان يوم قدومها نصر يوماً سعيداً بل عيداً عظيماً لجميع الامة المصرية من مسلمين واقباط لما كان للرجل من منزلة في قلوبهم

ولقد تشرف على أثر عودته بمقابلة الجناب الخديوي فقلده بيده الكريمة النيشان الحديدي الاول

ثم طلب مني المرحوم بطرس باشا ان اطلب من السيد البطريك زيارة ابنائه الذين كانوا غير راض عنهم نظراً لهذه الحركة ومنحهم البركة والعفو عما مضى

فليت الطالب وقت بالهمة احسن قيام لان محبة البطريك لي وتقديره لمواطني نحوه جعلاه ممثلنا ثقة بي فكان يجيبني الى كل ما اطلب . فقبل اقتراحي بتعام الارتياح ، ودعاني الى مرافقته في زيارة حضراتهم وزاره جميعاً ومنهم المرحوم بطرس باشا . وكان يوماً معدوداً نجى فيه السرور العام والاخاء التام

وبعد ذلك وقع الاتفاق بين هؤلاء بزعامة المرحوم بطرس باشا وبين غبطة البطريك بان يلغي المجلس الملي الذي كان سبباً في ابتعاده ونزول مؤقناً وتقوم مقامه لجنة مالية تتألف من أربعة لتحل محل المجلس في جميع اختصاصاته ووقع الاختيار على الاربعة الآتية اسمائهم وهم (الداعي) وحنان بك باخوم ووجه بك شلي وبطرس بك يوسف وتسمنا ادارة العمل واشتغنا أكثر

من عشرة سنوات مع غبطة السيد البطريرك لم تر في اثنائها معارضة في امر ولا توقف في عمل بل كان متفقاً معاً تمام الاتفاق، وهو الذي كان يرأس الجلسات دون سواه

فرأت اللجنة ان تستفيد من هذا التسامح العظيم من غبطته بان تطلب من قداسه تأليف مجالس فرعية ملية بجميع الجهات الموجودة بها مطارنة واساقفة فلم يتردد قداسة البطريرك في اجابة طلبنا وصدرت أوامره الكريمة بتنفيذ تلك الفكرة، واثبتت فعلاً تلك المجالس بجميع المديریات والمحافظات ولم تزل باقية للآن سائرة في عملها

هذه خلاصة مختصرة جداً في بيان مسألة نفي البطريرك الراحل ونيافة الانباء يؤانس مطران الاسكندرية، اردت بذكرها خدمة للتاريخ واعلاناً للحقيقة

فلبني فسهى

سان مورتر في ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧

ظلت الحالة في هذو واضمثنان بحسن سياسة هذه اللجنة الى ان قام فريق من الاقباط من الذين لا يرغبون في السلام ونهملوا اجتهاد مساعي ادى الحكومة بضرورة اعادة انتخاب مجلس ملي جديد على طريقة المجلس الذي انحل وفعلاً اجيبت طلباتهم، وتم انتخاب المجلس المنشود وجلس على كراسيه وأخذ في التشامخ والتعادي امام ذلك القديس الطاهر الانباء كيرلس البطريرك المتنيح فما احتمات نفسه العالية تلك الشمعة الكاذبة، فأمر بتردد اعضاء المجلس جميعاً وقفل باب الديوان الذي كانوا يجتمعون فيه والتبیه عليهم بعدم العودة للدار البطريركية، واثبت الطائفة محرومة من وجود

هذا المجلس زمنًا طويلًا ، وتمطل كثير من مصالح الرعية الخاضعة لنظامه فأراد فريق من الأقباط ان يستعين بالمرحوم بطرس باشا في حل هذا الاشكال فقال لهم انا سحبت يدي ولا أريد من بعد الآن ان اتدخل في أى أمر له علاقة بالانجس أو بالبطريك فتوجهوا للسراي وشكوا امرهم لصاحب السمو الخديوي ، وبشر ظلامتهم ، فكان جواب الخديوي ، اني احترم هذا الشيخ احتراماً كلياً واعتقد فيه انه رجل بركة ومحبة فلا أريد ان افعل شيئاً على غير رضاه ، وهو في ايامه الاخيرة . فرجع المشتكون بخفي حنين ، وطال زمن الانتظار بدون جدوى ، وأخيراً قصدتني هيئات متعددة من الأقباط قائلين : بطرس باشا سحب يده . والخديوي لم يقبل عمل امر على غير رغبة البطريك وحالة الطائفة اصبحت سيئة وتمطلت مصالحها ، وعلى الخصوص الطلاق والزواج وما يتبعها ونحو ذلك ، والخوا على ان اتدخل في الامر حتى اجد حلاً لهذه العقدة فتأثرت جداً مما قلوه لي ، ونمت فعلاً الضرر الحاصل بالجمهور . فوعدهم بأنني سأسعى جهد المستطاع في حل هذا الاشكال ، وفي اليوم الثاني قصدت دار المندوب السامي . وطابت مقابلة اللورد كتشنر . الذي كان اذا كان عميد الدولة الانجليزية وعرب عليه تفصيلات هذا الامر وقت جنابه ، ان هذا الاشكال عجز في حله المرحوم بطرس باشا وعجز في حله جناب الخديوي وكذلك هيئة الحكومة ، ولكن اعتقد ان الذي يحل هذا الاشكال هو جناب اللورد كتشنر فأجابني اللورد بكل يشاشة قائلاً سيكون ضحك محققاً فقدم لي مذكرة وشرح لي فيها وضيفة الانجس التي وماذا ضرر ،

واذكر الطريقة التي ترى أنها اوفق لعودة تشكيله

وعليه قمت بجميع ما طلبه اللورد مني وبعد ان درس المذكرة التي قدمتها لجناحه ، قرر اعادة المجلس المالي بتعديدين في طريقة تخالف تشكيله الاصلى ، حيث رؤى ان يضم بين اعضائه فريق من الاكليروس

وأمر اللورد بادىء بدء ان يسير في هذه الطريق برضاء البطريرك فكفنى وكلف معي غبطة الانباء يوانس مطران الاسكندرية سابقاً ، وبطريرك الكرازة المرقسية حالاً بان نقابل من قبل نخامته السيد البطريرك ونعرض على غبطته ما استقر رأى نخامته عليه ، على انه كان مصمماً اذا رفض البطريرك . ان يمضى في طريقه من حيث تشكيل المجلس على أى حال . فقمنا بالأمورية لدى غبطة البطريرك واقنعناه بضرورة القبول حتى يكون العمل معروفاً انه صادر عن رغبة البطريرك وايس من ضيق آخر

فقبل غبطته ذلك بكل ارتياح ونحصلنا منه على خطاب بأعضائه لمخامة اللورد بقبول ذلك المشروع لا بل وشكر اللورد على هذه العناية فطربت لهذا النجاح الباهر في تلك المأمورية التي ما قصدت من ورأيها الا خدمة الجمهور وظلال اشتغل في وضع نظام جديد لهيئة مجلس ملى جديد تحول أخيراً بحنه ونظره وترتيبه الى صاحب الدولة اسماعيل صدق باشا الذى كان اذ ذاك وكيلاً لوزارة الداخلية في عهد وزارة محمد سعيد باشا . وما كان قد تصادف اثناء القيام بهذا العمل ان دعانا السير ونجت حاكم السودان العام لحضور الاحتفال بافتتاح كلية غردون بالخرطوم صدرت لي اوامر من اللورد كمتشربان اعتذر عن هذه الدعوى

وأُظِّلَ مقبلاً بمصر حتى أباشر أمام مجلس شورى القوانين بحث مشروع المجلس الملى وصدور دكريتو بتنفيذه فصدعت للامر وحضرت المجلس شورى القوانين أثناء المناقشة في هذا الموضوع الى أن تمت المناقشة وصدر عنه الدكريتو اللازم لتنفيذه، وقد لوحظ في وضع المشروع الجديد أن يكون من بين أعضاء المجلس الثلث من الأكليروس، وأن كل قرار يصدره المجلس يعد نافذاً حتى اذا كان لا يوافق عليه البطريرك، ونص فيه أيضاً أن يتكون مجلس مخصوص برئاسة البطريرك وأعضاؤه المطارنة والأساقفة لبحث ايرادات ومصرفات جميع الاوقاف الخاصة بالاديرة من أى جهة كانت ومعرفة ما اذا كان السير على مقتضى شروط الواقفين ومتفق مع نظمات الحكومة، ولكن للأسف لم يعقد هذا المجلس مرة واحدة، ولم تراع مصلحة الاوقاف من حيث ضبطها وربطها بأي وجه من الوجوه بل ظلت منهبة لكل ذي نفوذ من الأكليروس، فاستمر المجلس قائماً زمناً طويلاً حتى توفي البطريرك الى رحمة الله مبكياً عليه لانه كان مع ما هو عليه من التقاليد القديمة وعدم الميل لكل اصلاح جديد، كان قديساً يحب الفقراء والمساكين، يعطف عليهم بكل ما يملك، متواضعاً متقشناً، عزيز النفس كبير الاتقة حتى اننى أعلم أن المرحوم بطرس باشا كتب اليه مرة خطاباً يطب فيه منه عمل بعض اجراءات كانت لا تتفق مع ارادة البطريرك، فرد عليه جنابه بعبارة حررها بقلمه ذاتياً في أعلى خطاب المرحوم بطرس باشا وهالك نصها

« عرضت على مسامعنا عرضتكم ولا نوافقكم على ما جاء فيها ... »

كيراس

هذا ما يدلك إن التواضع تكبير كان مقروناً بعظمة وألفة يستخدمها
عند اللزوم، والرجل كان حافظاً لكرمه وكرامته بأكثر ما يمكن فكان يرسل
مندوباً ينوب عنه في كل احتفال يدعى إليه

المتحف القبطى

نبذة تاريخية عن تأسيسه

وان كانت فكرة جمع الآثار القبطية من مخطوطات وآثار وتحف — أو حفظها ، قد بدأت حوائى متحف القرن التاسع عشر ، إلا ان روح الحياة لم تدب فى هذا المشروع الا حوالى سنة ١٨٨٢ حيث ادخلت لكنائس القبطية الاثرية — تحت اشراف لجنة حفظ الآثار العربية — وقد ساعد على ذلك هيمنة نظارة الاشغال العمومية ، واشرافها على الآثار المصرية فى ذلك العهد أى فى عهد نظارة المرحوم حسين نخري باشا لها الذى كان اعظم معضد لهذه الحركة وأكبر مهتم بها

وقد بدأت الحركة الفعلية للتنفيذ فى سنة ١٨٩٨ كما يتضح ذلك من محضر الجلسة نمرة ٨٠ من جلسات لجنة حفظ الآثار العربية التابعة لوزارة الاوقاف العمومية المنعقدة فى ١٠ يناير من السنة المذكورة حيث تلا حضرة هراس بك الخطاب المسطرة صورته بعد ، المحرر امساحب العصفوة حسين نخري باشا :

« افيدم - اعرض لعصفوتكم ، اننى قد شاهدت مراراً فى المحلات الاثرية القبطية الجارية زيارتها ، بعض قطع منقوشة ، أو انواع مشغولة وتيجان وأعمدة وأشياء أخرى أيضاً ملفاة بالأتربة وربما توجد قطع متخلفة من اسقف أو أبواب مطعمة وغيرها من روكوم هامة بالخاله المذكورة

في الكنائس المتخربة ، وكل هذه الاصناف ليس لها وثدة في الجهات الموجودة بها ويؤول أمرها قريباً الى الضياع ، واعداد أثرها بالسكينة ، كما هو جاري في جميع الأشياء المتروكة ، وبما ان المشروع الذي وضع لوقاية الآثار القبطية من التخريب (الذي قد نجح معظمه بمساعي عطوفتكم) سيجعلها بمثابة الآثار العربية تحت عناية اللجنة ، وبما ان مأمورية اللجنة نحو الصناعة القبطية المجهولة لا تتم الا في وقت توجيه الاهتمام الى الاجزاء المتخلفة من هذه الصناعة . كما حصل في الاجزاء التابعة للاتيكخانة العربية فلاجل الوصول الى هذا الغرض اروم من عطوفتكم الاشتراك مع اللجنة في محاربة بطريكخانة الاقباط باستصدارها اوامرها الى وكلاء كنائس القاهرة وضواحيها . بنسليم كل الاصناف الموجودة في الآثار ، أوفى الاما كن المتخربة ولم يكن لها لزوم ، الى حضرة نخله بك الباراني بناء على ارشادي بما ان غبطة بطريرك الاقباط الذي تشرفت بمقابلته صحبة رفيقنا حضرة الباث انومي اليه ، وافق عليه وكلف الباث المشي عنه . انتخاب جناح من بناء كنيسة المعلقة يكون مناسباً لايداع الاتيككات فيه . واجراء قيدها بدفتر خصوصي . وبذلك تكون المبادئ الاولى للاتيكخانة القبطية ، التي اعدادها ضروري : ومن شؤون اللجنة انظر فيه ، لان الصناعتين العربية والقبطية قد سارتا مدة من الزمن في سبيل واحد ، وعلم الآثار لم يزل في مبادئ مباحثه لا يضاح كيفية سيرهما في آن واحد ، ويكون من الوجوب علينا اجراء المقتضى لوصول علمائه الى التسهيلات المقتضية للمباحث المتعلقة بهما ، فاحسن طريقة مساعدتهم ، التي يمكننا اتخاذها ، هي جمع كل ما تخلف

من هذين العصرين المحدثين بناية الاعتناء ، الصناعة العربية في متحفها ،
والصناعة القبطية في متحفها ، وعليه أرجو قبول عظيم الاحترام افندم
ولقد وافق سعادة نخرى باشا على ما رآه حضرة هرتس بك ووعد
بعمل الاجراءات اللازمة لدى غبطة بطريرك الاقباط « هرتس »
وفعلا تقابل عقب ذلك عطوفة نخرى باشا بغبطة البطريرك ، واتفق
معه على جمع هذه الآثار والحرص عليها من الضياع ، ووضعها في جناح مخصوص
بكنيسة المعلقة ، وهي الدار الموجودة فيها الآن ، وقد أصدر غبطة البطريرك
أوامره للمرحوم نخله بك الباراني بتنفيذ ذلك

ظلت الحالة سائرة في هذا الطريق بناية النجاح الى ان توفي الى رحمة
الله تعالى المرحوم نخله بك الباراني فاختار غبطة السيد البطريرك الراحل
سعادة مرقص سميكة باشا خلفاً للمرحوم نخله بك الباراني وكان احسن
اختيار لان الباشا الموصى اليه كدّ وجدّ وواصل العمل بهمة لا تعرف الملل
في تقدم هذا المعهد وتوصل بمساعيه لدى الكنائس والاديرة فجمع الشارد
من الآثار القيمة وكان غبطة الخبر الاكبر البطريرك معضداً لكل
مطالبه رغبة منه في رفع شأن هذا المتحف . ومما يوجب الغبطة والسرور
ان جلالة مولانا الملك المعظم ادام الله بقاءه رمق هذا المتحف بعين رعايته
قفضلا عن المساعدات المالية التي امدّها لترقيته امر بان يكون هذا المتحف
تحت رقابة الحكومة مشمولاً بمساعدتها حتى يكون في صف المتكفخة
المصرية ودار الآثار العربية فنَدَعُو الله ان يديم بقاء جلالة مولانا الملك
المحبوب زخراً للبلاد ممتعاً بولي عهده الكريم وسائر انجاله الكرام

الأوقاف بين إدارة ونظارة

في الجمعية التشريعية

وفي عهده علت الشكوى من الفوضى الحاصلة في إدارة الأوقاف العمومية ، فلأجل حماية هذه المصلحة الخيرية العامة من التلاعب ، ورفع الشكوى ، أمر اللورد كيتشر ، الذي كان مندوباً سامياً وقتها ، بتشكيل نظرة تدبر حركة الأوقاف حتى تكون تحت رقابة الحكومة — كذلك رأى أيضاً أن حالة البلاد الزراعيه تستدعي انشاء نظارة للزراعة ، وفعلاً تم تشكيل النظارتين في تاريخ واحد فلما عرضت على هيئة الجمعية التشريعية ميزانيتها مرت ميزانية نظارة الزراعة بدون معارضة ، وعند ما عرضت ميزانية نظارة الأوقاف ، وقف المرحوم سعد زغلول باشا معارضاً في ان تكون مصاحبة الأوقاف نظارة ومطاباً بأعادتها إدارة كما كانت ، ولما كنت رئيساً للجنة الميزانية بالجمعية التشريعية . كان لابد لي من الكلام فقلت مامعناه

انى آسف شديد لاسف ان اسمع من سعد زغلول باشا هذا الاعراض وهو أعلم الناس بما وصلت اليه إدارة الأوقاف من الفساد ، وضياع حقوق الفقراء ، والتلاعب في إيراداتها مخالفة لنص الواقفين ، والآ ن ، وقد اراد الله ان يعمل لها نظارة ، تحميها وتحمي اموالها من التلاعب والفوضى وتقيم فيها ميزان العدل . فيقوم الباشا ويطالب بأعادة تلك الحالة السيئة التى شكاً منها طوب الارض والسماء ، مع ان هذه النظارة تشمل اعمالاً خيرية محض

فالواجب الانساني على كل منا ان يدافع عن كيانها ، ويحرص على نظامها
وأظن أن كل حضرات زملائي الحاضرين في هذا الاجتماع يوافقونني
على هذا الرأي - فبالاجماع قابلت الجمعية هذا الرأي بالتصفيق الشديد
والارتياح العظيم

وعند ارفضاض الجلسة ضحك ممي المرحوم سعد باشا وقال لي
لقد كسبت القضية باقليني باشا فأجبتته على الفور « اني على يقين يا باشا ان
ضبيرك مرتاح لذلك »



جيش الاحتلال

والدخوليات

ومن الحوادث التي حصلت في وقته أيضاً ، أن دعاني يوماً من الأيام المستر متشل انس ، وكيل المالية وقتها . وقال لي . لماذا تأخذ عوائد على جيش الاحتلال ولا تأخذ عوائد على الجيش المصري ؟ فقلت له ، أنا اسير طبق القوانين ، وعندى دكريتو بذلك ، فان اردت أن تعفى جيش الاحتلال فاسع لاستصدار دكريتو : فقال لي ، كلامي يكفي ، فقلت له ، كلامك ليس دكريتو فقال لي ، اذاً نحن غير متفقين مع بعضنا فقلت له نعم ، لانك تريد أن تخالف القانون ، وأنا اريد التمسك بالقانون ، فغضب ورفع الامر الى السير غورست الذي كان آخذ مستشاراً مالياً فضحك منه كثيراً وقال له ، الحق بيد قليني باشا . وأخيراً دعاني السير غورست وقال لي ، لماذا اغضبت متشل انس ؟ فقلت له ، هو يريد ان اسير مخالفاً للقانون ، وأنا وظيفتي الحارس الامين على القانون . فقال نعم ، الحق بيدك . وأنا افهمته ذلك ، ولكن نريد حلاً لهذه المسألة بدون الالتجاء الى دكريتو . فقلت له ، نعم يمكن وجود طريقة : الحكومة المصرية تدفع لجيش الاحتلال مبالغاً سنوياً على سبيل الاعانة ، فاذا كان جيش الاحتلال يتنازل عن الفي

جنيه من المقرر اعانة له من الحكومة في نظير معافاته من عوائد الدخولية يمكننا ان نمكثى بقرار وزاري في هذا الموضوع وننفذ رغبة المستر منشل انس ، فأعجبه هذا الحل كثيراً وعمل به

طائفة الكياليين

ومن المسائل أيضاً التي حدثت في ذلك "عهد" ، انه كانت توجد طائفة شريرة جداً . تقاتل حقوق البائع "الشارى" ، وهي طائفة الكياليين ، فبناء على التماس مجلس شورى القوانين ، قد أجريت استبدال الكيل بالوزن ، بعد أن عملنا معدلات دقيقة فشكى الكياليون شكاوى عديدة عن ذلك ، فلكى استرضاهم ، استخدمتهم كشيالين ينقلون الغلال من المراكب ويضعونها على الموازين ، ويأخذون ذات الاجرة التي كانوا يتقاضونها على الكيل . فامتنعت شكواهم وانتظم العمل ، فمر هذا الامر على المستر منشل انس وكيل المالية — الذي قلت انه كان رجلاً شريراً ويسمى لاشر أينا وجد — فرفع تقريراً في حق النخامة اللورد كرومر ، وقال فيه ان قليني باشا أصبح ذا نفوذ يخشى من عواقبه لأنى أرى فيه خطراً جسيماً . حيث كلمة منه قصت على فئة الكياليين بالخضوع والاستكانة خوفاً من تأثيره ، مع أن تلك الفئة مشهورة انها فئة شريرة جداً ولا تهاب الخضوع لأي أمر حكومي ، فالقت نظر نخامة اللورد لذلك

وكان جناب اللورد رجلاً حكيماً ، بعيد النظر فدعاه وقال له بدلا من ان تشكر موظفياً عمل بحسن سياسته على اسكات الفتنة وتنظيم العمل ، تهجم عليه بهذه الالفاظ الدالة على قصر النظر ؟ أنا مرتاح جداً لما فعله قليني باشا ، وقد كتبت له جواباً أشكره على ذلك

الرتب والنياشين

وكان يعزى للخديوي انه يتصرف في الرتب والنياشين تصرفاً واسعاً حتى ضاعت قيمتها ، واصبحت متداولة بأيدي الذين لا يستحقونها ، فغضب لذلك اللورد كتشنر ، واوعز للخديوي بان الرتب والنياشين جعلت مكافآت من يقوم بأعمال ممتازة ، وعليه فهو يشير عليه بالكف عن اعطاء رتب ونياشين . فقال له الخديوي ، ان مسألة الرتب والنياشين حق خاص بي فقال اللورد ، انا بلغت سموكم أرادة الدولة الانجليزية ، فان كنتم تخالفونها عرفوني ، فمئذ ذلك رأى الخديوي ، أن من الحكمة أن يوافق اللورد على ماطلبه . وكف مدة طويلة عن إعطاء الرتب والنياشين

سمو الخديوي عباس والخلافة

وكان سمو الخديوي عباس شغوفاً بأن يكون يوماً من الأيام ، الخليفة الأعظم للمسلمين ، واستخدم لهذا الغرض جملة وسائل ، منها استخدام



(حسين رشدي باشا)

نفوذ مسلمي الشام والأناضول ، وصرف مبالغ طائلة في هذا القليل ، وكان أول من دفعه لهذه الفكرة الشيخ محمد عبده ، ولكنه بعد جهاد طويل ، خاب أمله ولم ينجح في قصده ، وترتب على ذلك . ان الباب العالي علم بكل وسائله ، فأراد التخلص منه ، وافكر انه كان حصل شبه اتفاق بين السلطنة العثمانية واللورد كاتشر ممثل الدولة الانجليزية . عن عزل الخديوي ، وتعيين البرنس حلیم ، الذي كان الصدر الأعظم للسلطنة ، خديوياً بمصر ، ولكن توأجت عراقيل في الطريق فلم يتم الأمر . ولما كانت للخديوي عادة سنوية ان يطوف بأوروبا وتركيا ، نصح له بعض المقررين اليه بعدم زيارة تركيا في ذلك العام ، حيث أصبح مكروهاً فيها ويخشى على حياته . فلم يصغ لهذه النصيحة . وقام فعلاً اليها كمادته ، وفي اثناء زيارته في يوم من الأيام للباب العالي ، أطلق عليه الرصاص وهو خارج من السراي ، فأصابته جمة إصابات خطيرة ، ولكنه نجى من الموت بعد علاج طويل ، وقام بعد ذلك لأوروبا كمادته ثم تصادف اعلان الحرب الكبرى فأظهر ضلعاً كبيراً لألمانيا وتركيا ضد فرنسا وانجلترا ، مما أوجب كدراً لانجلترا كدراً كبيراً الذي كانت من نتائج خلع الخديوي ، وكان ذلك في عهد وزارة المرحوم حسين رشدي باشا الذي كان في آن واحد قائم مقام الخديوي ، وأوعر مراراً للجناب الخديوي عند بدء الحرب بأن يعود الى مصر حالاً ويحتفظ بمركزه مبتعداً عن معمة الحرب في أوروبا ودسائسها فلم يصغ لنصائحه فكان ما كان

وبهذه المناسبة نذكر ان المرحوم حسين رشدي باشا كان اقدر رجل في علمي السياسة والقانون وكان رأيه حجة في كل معضلة مع ما تحلى به من الصفات ، فانه كان رقيقاً متواضعاً ، قل ان يوجد نظيره الآن ، وهو الذي رأس لجنة الدستور في عهد جلالة الملك فؤاد الاول ، وكانت آراؤه سديدة جداً فيعود اكبر الفضل له في نجاح تلك اللجنة التي كنت من اعضائها

وبعد ذلك تولى الحكم المفطور له السلطان حسين كامل ، وكانت ايامه في الحكم معدودة ، وحصل انه عندما قامت نار الحرب العالمية ، ان وشى للحلفاء في حق سمو البرنس عمر طوسون ، انه معاد لهم ، متآمر مع مراکش وتونس والجزائر ضد الحلفاء ، وانه عديم بالاموال والاسلحة ، وكنت اذ ذاك انا ايضاً بأوروبا ، فلما عزمنا على المنجى بمصر ، كان سبقي سمو البرنس عمر مارسيليا ، وانا وآخرين من المصريين لحقناه بمارسيليا على نية قيامنا جميعاً بمصر ولكن بمجرد وصول سمو البرنس عمر بمارسيليا حجزته السلطة العسكرية ، وامرته بعدم الرحيل الى مصر ، فلما وصلت انا الى مارسيليا ، عدته لما بيني وبين سموه من الصداقة ، فرد لي الزيارة بالفندق الذي كنت نازلاً فيه ، ولما كان سموه محاضراً بجمعة جواسيس ، فقد اتخذوا من هذه الزيارة ، تضامني معه فيما نسب لسموه ، فصدرت لي انا اوامر اخرتى من البوليس بعدم مبارحتي بمارسيليا ، وعدم عودتي الى مصر . فهالني هذا الامر جداً من تلك المعاملة التي لم اعرف لها من سبب



﴿الامير عمر طوسون﴾

فتظلمت لرئيس الجمهورية الفرنسية ، ولوزير خارجيتها ، وكان اذ ذاك
المسيو ديلكاسيه ، وكنت اعرفه شخصياً ، كما تظلمت للورد كتشير الذي
كان وقتها وزيراً لحرية بريطانيا وبلغت المرحوم حسين رشدي باشا الذي
كان رئيس الحكومة المصرية وقتها ، وبعد زمن اعطى لي الاذن بالسفر
الى مصر ، فسررت كثيراً لخل هذا الاشكال . ولكن سروري لم يدم
طويلاً ، اذ بمجرد ركوبي الباخرة ، عاد الى نحو نصف الليل رئيس "بوليس
السري" وامرني بالنزول منها واخذني في اتوموبيل مساح وأخبرني انه
صدرت اوامر جديدة تخالف التصريح الذي اعطى لي وقال لي ، أي الفندق
تريد السكنى فيها ، فقلت له الفندق الذي يقيم فيه سمو البرنس ، فقال لي
انصحك ان لاتفعل ذلك ، لان في هذا الامر صعوبة ضد صاحب
فقلت له ، انا متهم بذات التهمة اتهم بها سمو البرنس ، فلا داعي لانفرادي
في السكنى بعيداً عن أي انسان يسلمني على حالي . فما يجري عليه يجري
علي والامر لله ، وعلى ذلك سار بنا الاتوميبس ونزاني في دائرة الفندق الذي
كان به سمو البرنس ، وفي الصباح دهش سموه اندهاشاً كبيراً لما رأي فتعصمت
لسموه ما جرى ، فتكدر جداً ، ومن جهتي ، عدت فكررت الشكوى حتى
صرفت على "التقرافت" التي أرسلتها لهذا "قرص كل ما كان معي . وبعد مدة
مضت كنا محاضرين فيها بالجواسيس أين ذهبنا - صدرت أوامر جديدة بالسماح
لي بالعودة الى مصر . وفي هذه التدفة عدت بدون معارضة . وعندما وصلت
الى مصر ، أراد البرنس حسين ، (السلطان حسين) مقابلاتي ليستعلم عن حالة
البرنس عمر ، فترددت بل رفضت المقابلة خوفاً كونه يمسني ضرر جديد

خلاف الضرر الذي مسمى بسبب البرنس عمر ، وبعد أن اطمأنت على الحالة تشرفت بمقابلة سموه فعاتبني على التأخير فمرضت لعظمته السبب ، وأخيراً قال لي ، ماذا ترى في حل مشكلة البرنس عمر فقلت ان سمو البرنس يعلق كل آماله على سموكم ويعتبركم كبير العائلة ، ويترك لك الامر في خلاصه من هذه الورطة ، فقال لي ، اني فعلت كل ما أستطيع ، ولكن لم تنزل العقبات أمامي — فقلت له هل استغثت باللورد كنشتر ، أنا أعرف أنه ذو همة عالية . ومروءة كبرى ونو التجأت اليه لأجاب طلبك ، فقال لي هذا آخر خروش عندي ، فأخشي أن أستعمله الآن فيخييب ، ولكن أبقيه للفرصة المناسبة ، وتحدثنا أخيراً في أحوال أخرى واستأذنته وانصرفت وظل البرنس يجاهد و - أعدده على ذلك توليته العرش المصري وحينئذ ذلك أمكنه نجاة سمو البرنس عمر من موقفه الذي كان فيه ، وحضر مصر معززاً مكرماً

وهذه حسنة من حسنات المغفور له السلطان حسين ، وسأني على صفاته وأعماله جارة وبياناً عند ذكر تاريخه

البرنسس نازلي هانم فاضل

والسلطان عبد الحميد

ومن الحوادث التي حصلت في زمن سموه ، أن البرنسس نازلي هانم
فاضل وهي البرنسية الوحيدة التي كان لها صالون تقابل فيه رجال السياسة
والوزراء وكبار القوم وكانت ذكية جداً وملمة بالسياسة العامة في العالم
وغيورة جداً على مصالح مصر وتركيا بنوع خاص — ان هذه البرنسية
ترجمت كتاباً للمرحوم مصطفى فاضل باشا والدها ضد مظالم السلطان
عبد الحميد وتصرفاته المخزية لتركيا ، وطبعته فقبض لذلك السلطان المشار
اليه وطلب من سمو الخديوي أن يسترضاهما بكل ما لديه من الوسائل
مع جمع الكتاب وارساله لجلالته ففعل سمو الخديوي برغبة السلطان ،
وكانت دائماً وابدأ تدم تصرفاته وتعييب عليه جميع اعماله ، وأخيراً دعاها
جلالته لاستانبول ، فنصحتها جميع اصحابها وأنا منهم — خوفاً عليها فلم
تسمع النصيحة ولبت الطلب وذهبت الاستانة ، ولكنها احتاطت لذلك
كل الاحتياط فبمجرد وصولها الاستانة ذهبت مباشرة لدار السفير البريطاني
ونزات عليه حيفة كريهة وفي اليوم الثاني ووصلها توجهت للسراي السلطانية
وكان بصحبته مندوب من قبل السفير ، فمجرد ما علم بذلك جلالة السلطان
قابلها احسن مقابلة ، وانعم عليها بكثير من الهدايا والعطايا ونحو ذلك ، وعادت
معززة مكرمة الى مصر ، فتوجهت لزيارتها والسلام عليها ، فوجدت لهجتها

قد تغيرت نحو السلطان ، وكان كل كلامها نحوه بالندح والتعظيم ، فقلت لها سبجان من يغير ولا يتغير . ماهذه لهجة كلامك قبل توجهك للاستانة فقالت أجابك عن سبب ذلك في الحال - - وأمرت احد توابعها ان تحضر صندوقاً في حجرة نومها وقالت (وقد فتحت أمانى وفيه ما يبهرا لأبصار من جواهر كريمة ثمينة جداً من لآلئ وماس ونحو ذلك شيئاً كثيراً) يا حبيبي هذا ما أوجب تغيير لهجتي نحو جلاله مولانا الخليفة ، فضحكت كثيراً

ومن نوادرها الغريبة انه كان عرض عليها من قبل السراى ان تتزوج بأحد الوزراء المشهورين وكان المرحوم فخري باشا فرضت ، وعرض عليها ان تتزوج بأحد البرنسات فرضت ايضاً ، وأخيراً عملت سياحة وفي اثنائها عرجب على تونس فأعجبها شاب تونسي اسمه بوحاجب ، فتزوجت به في الحال ، وهذا الشاب كان نجل قاضى المحكمة الشرعية بتونس . ثم عادت مصر فقالت لي ماذا يقولون عن رواجي بالتونسي بعد أن رفضت وزيراً وأميراً ، فقلت بأبرنسية يقولون عنك . انك مجنونه ، فضحكت كثيراً وقالت لي ما أعظم سروري لسماع ذلك فاندحشت لسرعة الخاطر وعظيم الذكاء اللذين اسكتني بهما

وكان لها حمة نوادر كثيرة من هذا القليل وكانت تحب ركوب الخيل كما كانت جميلة الطلعة ، حلوة الحديث ، لا يشبع من مجلسها ، وتحب كبار القوم والعلماء ، ورجال السياسة ، محترمة عند الجميع ، وكان اللورد كرومر يعزها جداً ويحب زيارتها كثيراً

الانعام برتبة روملى بلر بك

ومن المسائل المعروفة التى حصلت فى عهده أنه عند ما توفى المرحوم
يطرس باشا غالى ، استقر رأى سموه مع اللورد كتشير عند تعيينه مندوباً
سامياً لدولة بريطانيا بمصر ، ان الذى يكون خلفاً للمرحوم بطرس باشا
هو (قليني باشا) وفعلأ أرسل سمو الخديوى وفداً يهتئى بذلك وكان هذا
الوفد مؤلفاً من الشيخ علي يوسف ، واسماعيل باشا أباه وشوق بك
أمير الشعراء وحامد بك الملايلى . كما أن اللورد أرسل لي تهنئة عن ذلك
عن يد أحد موظفي نخامته

كل ذلك حصل ولم يكن لي معنى فيه ولا علم به سابق . . . فقدرت
ثقتهم بى تقدير أعظيما وقدمت الت شكرات اللازمة ولكن لم يرق هذا
العمل فى نظر رئيس النظار وقتها فعمل جهد المستطاع امدد نجاح هذا
الامر . فقال للورد كتشير عي ، انى رجل الخديوى ، وانى سأعمل كل ما
يرضى الخديوى ، وتلك عقبة فى طريقنا . ثم قال للخديوى عني ، انى
رجل كتشير وسأعمل كل ما يرضي رغبات كتشير ، وتلك عقبة
أمامنا . — وزاد على قوله هذه العبارة « انى لا أنكر ان قليني باشا أقدر
اللائقين لهذا المنصب وأعظمهم نفوذاً ونشاطاً ، ولكن وآسفاه لقد أبدت
ما أعرفه فى أمياله حتى لا تلومونى فيما بعد ، فكان ذلك موجب لانتفاء
الجهتين لفكرته . وصرف النظر عن اتمام ما وعدنا به من تعيينى وزيراً
ونظراً لكون الجهتين كاتبا مرتبطتين بهنئتيهما لي . ففكرت انا فى منحي

رتبة روملى بلربك وهي أكبر رتبة في الحكومة المصرية كانت لا تعطى
إلا لكبير الوزراء — هذه هي مسألة الانعام برتبة روملى بلربك
وفي عهد كل من المنفرد له الخديوى توفيق وسمو الخديوى عباس
ظهر من الباشوات البارزين ، رشدى باشا — سعد زغلول باشا — بطرس
باشا — نخري باشا — ابراهيم فؤاد باشا — ثروت باشا — عدلى باشا —
صدقي باشا ، محمد محمود باشا ، يحيى باشا

رشدى باشا

فرشدى باشا ، كان أكبرهم علماً ، وأعظمهم نشاطاً ، بعيد النظر ،
قوي الحجة ، نزيه جداً ، متواضع ومحبوب من الجميع ، وهو الذى كان قائم
مقام خديوى حال انتشاب الحرب العالمية ، وفي عهده سمت الدولة
الانجليزية لخلع الخديوى خاول عبثاً أن يعالج هذه المسألة فلم ينجح ، ومع
ذلك فقد خدم الخديوى خدمة جليلة في حفظ أملاكه وأمواله بعد أن
كانت الحكومة الانجليزية صممت على مصادرتها ، وقد قلب على جملة
وزارات وكان في آخر حياته رئيساً لمجلس الشيوخ وقد توفى الى رحمة الله
تعالى فخسرت البلاد بوفاته خسارة لا يعوض وقد بكاه الجميع بكاء مرّاً

زغلول باشا

أمره أشهر من أن يذكر - فقد كان شهيداً هاماً ، وشخصية بارزة .
وحطياً لا يعادله خطيب في البلاد وهو الذي قاد الحركة الوطنية بما هو



سعد زغلول باشا

عن المتطاف

معروف عند الجميع وكتب الكتاب عنه بما هو جدير به وقد توفي
لرحمة مولاه

بطرس غالى باشا

كان رجلا عظيما ، متقد الفكر ، قوي الحجة ، قادر على ادارة المصلحة التي
يتولاها ، وكان محبوبا عند الاقباط وقد تقلد في آخر حياته رئاسة مجلس
النظار ولم يدم فيها طويلا حيث اغتالته المنية بيد مجرم أثيم ، وقد تشعبت
الاقاويل على من تواتروا على فقد حياته

فخري باشا

كان رجلا عارفا في علم القانون ، طيب القلب . واسطة خير ، لا يسمي في
ضرر أي انسان ، بل يسمي ما استطاع في نفع الخير وخدمة الالسانية
وهو الذي شكل المحاكم الاهلية . وتولى وزارة الختانية مرارا ، وأحسن
ادارتها ، كما أنه تقلد في جهة دفعات عند سفر سمو الخديوي لاهروبا منصب
قائم مقام خديوي ، وقد قام به أحسن قيام . وهو أول من وضع أساس
المتحف القبطي ، وقد توفاه الله مأسوفا عنه من الجميع وخلف ولدين
أحدهما معالي محمود فخري باشا سفير مصر الآن بباريس وهو في طباعه
وصفاته كأييه محبوبا من الجميع

ابراهيم فؤاد باشا

كان عالماً علامة في علم القانون ، بسيطاً جداً ، بعيداً عن المكر والخداع
طيب القلب ، وقد تولى نظارة الحفانية مراراً ، وقد توفي لرحمة الله

ثروت باشا

كان بعيد النظر جداً ، ثابت الفكر ، ذا دراية بالادارة من الطبقة
الاولى - سياسياً كبيراً جداً احسن من جميع من تقدموه في ذلك وكان
نشطاً للغاية ، فكاكاً للمعضلات ، وله مواقف عظيمة جداً في البرلمان
والجمعية التشريعية ، تشهده بطول الباع ، وهو الذي تولى المفاوضات
ببلاد الانجليز ، لعمل معاهدة ، وعلى يديه نالت مصر استقلالها وبواسطة
مجهوداته مع اللورد اللنبي تحصلت البلاد على تصريح ٢٨ فبراير الذي اعطي
البلاد استقلالها ومن مقتضاه دعي السلطان بانك - وتعينت المفاوضات
المصرية في سائر أوروبا ، وعمل الدستور وتشكل البرلمان وكان يعاونه
في ذلك صدق باشا والنضال كل النضال في هذا الامر يعود الى ثروت
باشا واللورد اللنبي وصدق باشا وقد توفي الى رحمة مولاهم بكياً عليه من الجميع

عدلى باشا

رجل رزين ، متأن ، بعيد النظر ، شلي المزاج ، يحب بلاده ، تولى



نروت باشا

عن المقتطف



عبدی یاقان باشا



﴿ محمد محمود باشا ﴾



حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية والمالية

رئاسة مجلس الوزراء ثلاث دفعات واطهر فيها حسن السياسة بما اوجب
الثناء عليه وآخر مركز شغله كان رئيساً لمجلس الشيوخ

صدقى باشا

رجل مفرد في فن الاقتصاد وحسن الإدارة ، بعيد النظر ، دمث
الأخلاق ، سياسي عظيم جداً مشهود له بطول الباع في كل امر تولاّه .
وهو الذي يدير دفة البلاد الآن ، كثير النشاط كبير الذكاء ، خطيب مفعوه

محمد محمود باشا

رجل تحلى بجميع المواهب الحكومية شريف النفس شديد البطش
عند الاقتضاء متفان في حب بلاده وخدمة وطنه حسن العلاقة مع الدولة
الانجليزية ، محترم الجانب

توفيق نسيم باشا

رئيس ديوان صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول الآن . اجتمعت
فيه الأخلاق الحسنة والنزاهة بأكبر متسع في عدم القانون والإدارة
محبة للناس ، بعيد عن الشر ، هادئ الطباع لا يتكلم إلا إذا شئ . كثير
العمل ، وقد تولى مراراً مناصب وزارية ودفعتين رئاسة الوزارة . فبرهن
على مقدرة عالية ، وبعد نظر ، وكثير من الكياسة

يحيى باشا ابراهيم

رجل محب للسلام ، بعيد عن الدس ، متضلّع في علم القانون ، اشتغل
زمنًا طويلاً بالتحاكم وبرهن على نزاهة عالية ، وعين وزيراً مراراً ، وتولى
رئاسة الوزارة وكان فيها مثال الصدق والأمانة والتواضع

زيور باشا

رجل متضلّع في اللغة الفرنسية لدرجة انه حينما يتكلم بالعربية
تغلب عليه الفرنسية فيترجمها بها وهو قدير متضلّع في الفنون والمعارف
سريع الخاطر كثير النشاط ، أقرب الى العقيدة المسيحية من العقيدة
الاسلامية (اردت بهذا ان اتعالى في القول بعيد عن التعصب بالمرّة) يتمثل
في شخصه بالصراحة باكملها جريء في جميع أعماله بعيد عن حب التظاهر
يميل الى معاشرّة الاجانب ميلاً غريزياً لحلّ الحديث يميل الى الآلات
الموسيقية والاغاني الافرنجية كثيراً محبوباً في الاجتماعات الافرنجية
بحديثه اللطيف

وقد تقلد الوزارة مراراً واخيراً تمّ لرئاسة الوزارة وكان على اتفاق
تام في سياسته مع الانجليز

مدحت يكن باشا

رجل جميل السمائل ، وفيّ في عشرته لاخوانه ، بعيد النظر عاقل رزين
عالي النفس مع التواضع ، يميل بطبيعته الى الاشتغال دائماً بالأعمال المالية ،
وهو ثري مشهور تقلد جملة مرات الوزارة تارة للخارجية وتارة للزراعة
والآن هو رئيس بنك مصر وقد نال البنك في عهده شهرة عالية واعمالاً
موفقة يرجع الفضل فيها لسعادته وسعادة طلعت حرب باشا ومنعاونها

ونذكر بهذه المناسبة ان أول من ايقظ الحركة الوطنية ونبه لها اذهان
الامة هو المرحوم عرابي باشا ، كما سبق القول عنه ، وقد أخلفه المرحوم
مصطفى باشا كامل الذي شكل الحزب الوطني وقاده للمطالبة بالاستقلال
واقامة الدستور ، وكان شاباً نشيطاً جداً جريئاً للغاية ، خدم البلاد خدمت
لاتنكر ، وهو الذي اوقد شمعة حب الوطن في اذهان الطبقة أولاً ثم اهالي
البلاد ثانياً ، وتمكن بمجهوداته ان جعل الامة كتلة واحدة ، تسير في نشاط
وجراءة مطالبة بالاستقلال وايقظها من غفلتها بعد ثباتها العميق وبث في
روحها جراءة كانت معدومة بالرة ، فله فضل عظيم هو وخينته محمد فريد
على النهضة الوطنية مما تحفظه لها البلاد على ممر السنين

وبهذه المناسبة نذكر هنا كلمة عن الاحزاب التي تشكأت في ذلك
العهد وما قامت به من الاعمال — سبق نشرها بجريدة الاهرام القراء رداً
على بعضهم تحت عنوان «للحقيقة والتاريخ»

للحقيقة والتاريخ

كلمة عن الأحزاب في مصر

على ذكر ما نشرتموه بجريدتكم الغراء صباح اليوم بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عبدالله افندي حسين فيما يختص بالأحزاب الثلاثة أحدها الحزب الوطني ومؤسسه المرحوم مصطفى باشا كامل والثاني حزب الإصلاح ومؤسسه المرحوم الشيخ علي يوسف ، والثالث حزب الأمة ومؤسسوه جماعة من الأعيان برئاسة المرحوم حسن باشا عبدالرازق أرى انما لما ذكرتموه أن أشرح لكم الأغراض التي من أجلها تشكلت تلك الأحزاب الثلاثة ولو أنها واضحة نوعا ما في بروجرام كل حزب منها - وهذه الأحزاب الثلاثة كانت في عصر سمو الخديوي عباس

فرئيس الحزب الوطني المرحوم مصطفى باشا كامل خلق بطبيعته غيور محبا لوطنه مجاهداً عظيماً في نوال البلاد استقلالها وإدارة شؤونها دستوريا كما هو واضح ذلك في بروجرام حزبه الذي ألفه وهو شاب لا يتجاوز الثمانية عشر عاماً

قلنا انه خلق بنظرته مغرم بحب الوطن وكل ما يرفع شأنه ، وقد ابتداءً وهو تلميذ في المدرسة بتحرير جريدة دعاها « المدرسة » وظل يكتب فيها ما يؤيد مبادئه ويستميل اليه تلاميذ المدارس الذين انتهوا باعتناق مذهبه وظلوا يعضدونه في أعماله وأقواله

ولما أن أنس من اخوانه الطلبة ذلك والتفوا كلهم حوله ابتداءً



(المفقور له مصطفى باشا كامل الرئيس الاول للحزب الوطني)

يخاطب الجمهور الذي ارتاح كثيراً لجهاده العظيم لخدمة مصالح الوطن
فمنذ ما تحقق من الجميع انيل الى مبادئه شكل الحزب الوطني ووضع له
بروجراماً وهو الذي نشرتموه اليوم

وقد سر من عمله هذا الجناح الخديوي به عنده بماله وثقوته ما استطاع
وسار شوطاً عظيماً بجاهد جهاد الأبطال بطب استقلال البلاد ووضع
دستور لها، ولم يقعه أي أمر للوصول لهذه الغاية فظن بسافر الى أوروبا
وينخطب في الجماهير ويطالب حكومة إنجلترا باستقلال البلاد وسحب
الجيوش الانكليزية الخ الخ... واستعان بكثير من الدول الأخرى لهذه
الغاية مثل فرنسا وألمانيا وأمريكا وغيرها

ولكن لسوء تقام حصل بينه وبين سمو الخديوي امتنع سموه من
تفضيده سواء كانت مالياً أو أدبياً على ان هذا لم يقعه عن الاستمرار
في مجهوداته

فنهضة الأمة بأسرها وبقظتها من سباتها ومعرفة حقوقها والمطالبة
بها يرجع الفضل فيها لمبادئ ومجهودات المرحوم مصطفى كامل باشا، وحيث
ان الاعتراف بالجميل أمر واجب رأيت من واجبي إعلان ذلك

حينئذ فكر الجناح الخديوي في إيجاد حزب آخر أمم هذا الحزب،
فأعز لحضرة الأستاذ قفاص المرحوم شيخ علي يوسف الذي كان اذ
ذاك مقرباً لسموه وكان صاحب ومحرر جريدة المؤبد وهو من العلماء
البارزين المشهود لهم بطول الباع والروية بنشكين حزب يدعى حزب
الأصلاح وقد صادفت هذه الفكرة قبولا عظيماً عند المرحوم شيخ علي

فقام بتشكيل حزب الاصلاح ووضع له البروجرام الذي نشرتموه بجريدة
الاهرام الغراء اليوم

بعد ذلك رأى جناب اللورد كرومر ان السراي تسمى في تكوين
احزاب وذن ان الغرض الاول منها هو مناهضة اللورد واقتصارها على
خدمة اغراض الخديوي ، ف اشار على بعض اعيان البلاد الذين كانوا في ذاك
الوقت يخشون سطوة الخديوي بان يشكلوا حزباً ويدعونه حزب الامة ،
والغرض من هذا الحزب ان يكون ضمناً لخدمة مصالح الشعب ، فشكل
أعيان البلاد هذا الحزب وأختاروا له رئيساً من بينهم هو المرحوم حسن
باشا عبد الرزاق ، واطن انه كان يضم كثيراً من الأعيان . اذكر منهم
المرحوم محمود سلمان باشا والمرحوم يحيى باشا (والد سعادة امين يحيى باشا)
والشواربي باشا وكثير غيرهم ممن لم تحفظ ذاكري اسمائهم ، وانشأوا له
صحيفة تسمى الجريدة ، كان رئيس تحريرها سعادة الكاتب الكبير لطفي بك
السيد ، وكانت هذه الصحيفة لسان حال الحزب كما ان جريدة المؤيد كانت
لسان حال حزب الاصلاح وجريدة اللواء كانت لسان حال الحزب الوطني
ونما كانت الاسباب والاغراض التي دعت لتكوين هذه الاحزاب
الثلاثة مجهولة فأردت خدمة للتاريخ وبياناً للحقيقة ان اشير اليها لا يقف
الجمهور على الواقع مـ

السكوتيننتال في ٢٤ مايو سنة ١٩٣١

وكذلك بمناسبة ذكرنا الحوادث التي حصلت في عهد الولاية الثلاثة،



عمر اظفي باشا

نذكر مقام به بعض امراء البيت المالک بطريق الاجمال فاقول أن لكل من أصحاب السمو الامراء الكرام البرنس عمر طوسون والبرنس محمد على والبرنس يوسف کمال والبرنس کمال الدين حسين، أعمالاً مجيدة برهنوا بها على محبتهم للوطن ، فضلاً عن الخدم الجليلة التي أدوها بأقوالهم وأعمالهم ودفاعهم الشديد عن مصالحة البلاد في كل فرصة سنحت لهم مما يحفظه الشعب المصري لسموهم بالذكر الجميل

في عهد

الخديوي اسماعيل ايضاً

في زمن الخديوي اسماعيل كانت وظيفة الحاكم العام المصيدة تبادل بين ثلاثة من ذوات مصر هم سلطان باشا وقاسم باشا وعمر لطفي باشا . واذكر انه في عهد عمر لطفي باشا حين ما كان متقدماً تلك الوظيفة انه وقع في غرام سيدة جميلة من اقليم بنى سويف وهي واقعة شهيرة تدعى المظ فوقع بها ولماً شديداً وكان وقتها يوجد في عاصمة كل مديرية مأمور ضبطية لتلك العواصم ولما كان مأمور ضبطية بنى سويف مبعوضاً من فئة من اهل البلدة دبوا حيلة شيطانية لخلاصهم منه وكتبوا عريضة باسماء مختلفة وقدموها لعمر لطفي باشا قالوا فيها : ان هذا الرجل واقع في غرام السيدة المظ ودائماً يترك اشغاله ليتواجد معها للمسامرة الى آخر ما قالوه من هذا القبيل . فقدموا لها ما شاهدوا من عريضة مائة الفص

وحب الانتقام من شخص صغير ينازعه في عشيقته فرفع تانغرافا في الحال الى الجناب الخديوي (اسماعيل) قال فيه : انني علمت من مصدر سري ان مأمور ضبطية بندر بني سويف هو جاسوس للبرنس حلیم ويبدل معه المكاتبات وان في بقاءه في البلاد المصرية خطراً. ولما كان الخديوي لا يشك بصحة اقوال حاكم عظيم يشغل اكبر الوظائف اصدر امراً في الحال تانغرافيا بارسال ذلك الموظف مكبلاً بالحديد تحت الحفظ الى اليابان أعني الى البحر الأبيض بالسودان

والرجل مسكين فقد كان بريئاً من هذه التهمة وما يشعرا انه وقوة عسكرية قبضت عليه فانهش وكاد يخن وقال ماذا جرى مني فلم يجبه احد على سؤاله واودع السجن لتفسيره

وقد علمت الست المظلمة هذه الحكاية وكانت لا تعرف هذا الرجل فانغاضت غيظاً شديداً لكونها كانت سبباً في خراب بيت عائلة بريئة وما كان أحسن شعورها العالمي فقامت في الحال وقابلت عمر باشا لطفى وقالت له ما سبب غضبك على مأمور ضبطية البندر حتى دعت الحالة الى تقيمه فنكر منها الحقيقة وقال لها هذا رجل جاسوس ضد الحكومة. فقالت له بجرأة يا باشا انت غير صادق في قولك وأنا عرفت السبب الحقيقي الذي دعاك لهذا العمل "سأبيع تجرد من تعدل والانتصاف وأنا أؤكد لك انك وصدك من اتهم ضد هذا الرجل كذب في كذب وهو بريء منه وأنا ضميري لا يحتمل خراب بيت هذا الرجل من طريقي

ولما كان الرجل صار تفسيره وعمر باشا لطفى كان ضعيف الارادة

عصابات اللصوص

واتذكر من حوادث اللصوص حادثة اسردها على سبيل الفكاهة ، وهي انه انتشرت في وقت من الاوقات عصابات اللصوص بالاقليم القبلي وقد ساعدها على ذلك وجود زراعات التمب والاذرة ، وكان من بين هذه العصابات منصر كبير اتخذ مقرآ له زراعة قصب بجوار بندر المنيا على مقربة من طريق عمومية واستخدم بعض الجواسيس لاعطائه اخبار المارين بهذا الطريق ، فيختارون من بينهم الاغنياء وحاملي البضائع وكل من يتوسمون معه غنية لهم . فينتفض اللصوص عليهم ويسلبونهم ، بملكوته بعد ان يوسعهم ضرباً — وكنت اذ ذاك موظفًا بوظيفة وكيل الدائرة السنية باوجه القبلي . وكانت أعمال الدائرة السنية تشمل كثيراً من اختصاصات ابلاد في ذلك الوقت ، فخطر لذي جمع كبير من عمد وأعيان البلاد وشكوا لي فتمدان الامن العام من هذه الجهة ، وأن الجمهور أصبح مهدداً بالخطر من وجود هذه العصابة المساحة تخابرت وقتها مدير المنيا (المرحوم خليل باشا عفت) وبلغته ما بلغني من هذا الموضوع بواسطة العمدة والأعيان وطلبت منه عمل الاحتياطات اللازمة لهذه العصابة الشريرة وراحة الناس من شرورها ، فجابني بخطاب رسمي قائلاً : ان شكاي العمدة والأعيان من وجود عصابة اللصوص تعبت في لارض فساداً لا حقيقة لها وانه مجرد وهم : وعند وصول هذا الرد لذي تصادف ان هذه العصابة قضت

على ارواح بعض التجار المارين فاندعشت من جواب المدير ورأيت نه
لا بد من ابلاغ الحالة للمعية السنية ولوزير الداخلية ، وكانت اذ ذاك
عبد القادر باشا حامي واوقفته على المحاضرات التي دارت بيني وبين المدير
والفت نظره لضرورة استئصال هذا المنصر الذي أخل بالامن
العام خذلاً كبيراً . فاهتم بالمسألة اهتماماً شديداً وبعصر بذات المنيا وظهر
له من التتريات ان المدير مهمل اهمالا تاماً في واجباته . وساءت حواله
شبهات كثيرة حتى قيل ان له صنماً مع المصوص . وقد تحصل الوزير
على امر عال بناء على قرار مجلس الوزراء بعزل هـ المدير ثم اهتم بمبحث
مسألة المصوص للوصول الى القبض عليهم فبينما "تجربات كانت تعمل
لهذا الغرض علم بذات المصوص فرسأوا زعيمهم مرتدياً رداء شحاذا متوكئاً
على عصاه ودار حول القائمين بعمل هذه التجربات ليسترق منهم الحديث
ويقول حسنة لله يا أسيادي . . فمزع فيه أحد الكتبة قائلا له نحن في هذا
والا في هذا - فلرجل الذي كان متواضعاً متمسكاً بمجر كلامه الكابر
وشتم الكاتب بحدة يشتم منها كأنه ذوقوة كرنى وسقطه عظمى . وكنب
اذ ذاك انا الاحظ هذه الحركة عن قرب . فداخلي الشك من أن هذا
الشحاذا جـوس المصوص وهو منهم . وأخبرت بذلك وزير الداخلية وقت
له يجب التشديد على هذا الرجل حتى يقف على الحقيقة فقابلني اوزرارهم
أن ما يتراءى لك عمله ومرت في الحال بجحد الشحاذا المتنكر الذي فعل
لي في أثناء اجلدارحني وانا اصرح لك بكل شيء فأمرت وقف الجند
وعترف بانه شيخ المنصر وان المنصر مؤلف من ربه من لصاً من جهة نوح

وان اكثر المنهوات والمسروقات التي استولوا عليها موجودة تحت كيمان
البلاد وإنه يمكن استحضارها - وبينما كان يعترف ويصرح بهذا كان
بجوارى كتب يدون الاعترافات وبعد ان أقربما أقر ختم على المحضر
بختمه وقدمت هذا المحضر لوزير الداخلية الذي كان سروره عظيماً جداً
لاكتشاف هذه لعصابة وأمر باستحضار كل المسروقات كما أمر باستحضار
جميع اللصوص وحول المسألة على النيابة والقضاء لتأخذ مجراها الطبيعي
وكانت هذه الحركة خاتمة أتمال هذه الفئة السريرة التي قضي وجودها زمناً
طويلاً على الأمن العام . وبعد ذلك عم السلام وأطمأن الاعالى على
أرواحهم وأموالهم .

هذه هي إحدى نواذر ذلك الزمان

ويوجد نواذر من هذا القبيل لم نستحسن نشرها لأن فيها مساساً
ببعض رجال القوم فمن باب المياقة صرفنا نظراً عن ذكرها





حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا
رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية والمالية

دولة صدقي باشا

خاتمة المذكرات

قد دوننا ما بقي في ذاكرتنا من الحوادث التي حصلت في عهد سمو الخديوى عباس ، كما ذكرنا أسماء الوزراء والحكام البارزين الذين كانوا يشرفون على المصالح في عهده وعهد أبيه وبيننا مجهودات كل منهم وقد اكتفين الآن بذكر ما تقدم وجعلنا نهاية مذكراتنا لنهاية حكم سمو الخديوى عباس ، وإن شاء الله سنعود لتدوين ما حصل في عهد السلطان حسين وعهد جلالة الملك فؤاد الاول في فرصة أخرى لأن الأعمال الجليلة التي قام ويقوم بها جلالة مولانا الملك المعظم تحتاج الى مجلد ضخم قائم بنفسه قصدت بهذا تمجيد من لهم اعمال عظيمة في خدمة الوطن وذكر محاسنهم حتى ينسج على منوالهم من يريد خدمة المصلحة العامة وبهذه المناسبة نخلو لي ان اذكر هنا بطريقة اجمالية ان حضرة صاحب الدولة إسماعيل صدقي باشا رئيس الحكومة الحاضرة له مآثر جليلة في خدمة الوطن العزيز حيث في عهده المبارك أشتهر بنات التسليف الزراعي الذي قام باجن الخدم المأذونين في كل ناحية من نواحي الدولة أيضاً البنات العقارية الذي لا تحصى منافعها لمصلحة المزارع وبمساعدة أوقف البيوع الجبرية للأطيان وبمساعدة أيضاً مع "بنوك العقارية" كجيل أقساط الديون المطلوبة لها مدة ثلاث سنين طبقاً للاتماس المرقوع منها لدولته كما

أنه أصدر أمره بتبسيط سداد المطالب للحكومة من السلف الزراعية على خمسة سنوات وسمى لتعزيز ائمان الحاصلات الزراعية والمصنوعات الوطنية بواسطة التعريفة الجمركية مما أدى لتحسين الفائقة المالية تحسناً عظيماً. وهو الذي بحكمته وفطنته توصل الى توازن الميزانية دخلاً وخرجاً بدون ان يمس احتياطي الدولة مما يقابله الجمهور بمزيد الشكر والاعتراف بالجميل وهو كما قلنا علم منير في فن الاقتصاد وحسن الادارة بعيد النظر دمث الاخلاق سياسي عظيم جداً مشهود له بطول الباع في كل امر تولاها وهو الذي يدير دفة البلاد الآن ، كثير النشاط كبير الذكاء وخطيب مفوه بارك الله فيه وأكثر من أمثاله

وكل أعماله التي قام بها لمصلحة الوطن تنطبق على رغبات حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المحبوب ادام الله عزه وتأييده وافر عينيه بسمو ولي عهده وسائر أنجاله الكرام

